

**المبادئ العامة في التفسير الموضوعي  
النظرية والتطبيق**



# المبادئ العامة في التفسير الموضوعي النظرية والتطبيق

تأليف

د . نادية سالم الحساني

د . ماجد مهدي السلطاني

دار بن السكيت

العراق - الديوانية - ٢٠٢١

## المبادئ العامة في التفسير الموضوعي النظرية والتطبيق

المؤلفان: د. ماجد مهدي السلطاني

د. نادية سالم الحساني

الطبعة الأولى : ٢٠٢١

عدد الصفحات : ٢٦٥

الحجم : ٢٣×١٦ سم

الرقم الدولي:

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد

٣٩٤٩ لسنة ٢٠٢١

كل الحقوق

محفوظة لدار ابن السكيت للطباعة والنشر ولا  
يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار  
هذا الكتاب أو جزء منه أو نقله بأي شكل أو  
واسطة من وسائط النقل الالكترونية أو الميكانيكية  
أو أجهزة التخزين والاسترجاع دون إذن خطي من  
الناشر.

© All rights reserved for ibnalseket  
publisher & Prentin. No person,  
organization or entity may re-issue this  
book or any part of it or transfer it in  
any form or mode of electronic or  
mechanical transport or storage and  
retrieval devices without the  
written permission of the rights  
holders.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
صَوَّرَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِلَّهِ الْحَمْدُ  
لِعِظَمِ عَجَائِبِهِ  
وَصِدْقِ آيَاتِهِ

سورة الإسراء: آية ٩



قال رسول الله ﷺ

" إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين والعروة الوثقى، مَنْ استضاء به نوره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله وَمَنْ تمسك به أنقذه الله، وَمَنْ لم يفارق أحكامه رفعه الله، وَمَنْ استشفى به شفاه الله ... "

بحار الأنوار

٣١ : ٨٩

قال الإمام أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عليه السلام:

" عليكم بكتاب الله، فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والري الناقع، والعصمة للمستمسك، والنجاة للمتعلق، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء داءكم ونظم ما بينكم ... "

نهج البلاغة

الخطبة: ١٧٦





## إقرار اللجنة العلمية

أطلّعت اللجنة العلمية في الجامعة الإسلامية في الديوانية على محتويات كتاب ( المبادئ العامة للتفسير الموضوعي: النظرية والتطبيق) للدكتور ماجد مهدي السلطاني و الدكتور نادية سالم الحساني ، وقارنتها مع مفردات المنهج المقرر من قطاعية الدراسات القرآنية وكانت مطابقة تماماً وموزعة على المحاضرات الأسبوعية للمادة، ولذا وافقت على إقرارها، متمنين لهما التوفيق...

والله تعالى من وراء القصد

الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور	م. الدكتور
محمود شاكر عبود الخفاجي	رحيم عبد جاسم الزاملي	مجيد حميد الفتلي
رئيس اللجنة	رئيس القسم / عضواً	عضواً



# المحتويات

المقدمة	١
المبحث الأول: التفسير الموضوعي	٣
تعريفه:	٣
العناصر المشتركة فيما سبق من التعريفات <sup>١</sup> :	٩
ماهية التفسير الموضوعي:	١١
مدى أهمية التفسير الموضوعي:	١٢
فوائد التفسير الموضوعي:	١٣
خلاصة الأهمية	١٧
تحديد منهج التفسير الموضوع	١٨
أهداف التفسير الموضوعي	١٨
سبب التسمية:	١٩
ما هو التفسير الموضوعي؟	٢١
المبحث الثاني: مرجحات التفسير الموضوعي	٢٥
مرجحات أخرى:	٢٨
المرجح الأول:	٢٨
المرجح الثاني:	٣٠
المرجح الثالث:	٣٠
تعقيب:	٣١
رؤية السيد محمد باقر الحكيم للمناهج التفسيرية <sup>٢</sup> :	٣٢
المبحث الثالث: تعريف المنهج التجزيئي، وأسباب شيوعه	٣٣
سبب شيوع المنهج التجزيئي:	٣٨

٤٠	تعقيب:
٤١	مرجحات المنهج التجزيئي:
٤٣	سبب الاختيار:
٤٣	المعالم العامة للمنهج المختار:
٤٧	المبحث الرابع: أوجه الفرق بين الاتجاهين التجزيئي والموضوعي
٥٢	الاتجاه الموضوعي في الأبحاث الفقهية <sup>٥</sup> :
٥٧	المبحث الخامس: التفسير الموضوعي في كلمات العلماء السابقين
٦١	المبحث السادس: مراحل ظهور المنهج الموضوعي في التفسير
٦١	مرحلة البدايات:
٦١	١. القرآن الكريم ودعوته إلى إرجاع المتشابه إلى المحكم <sup>٥</sup> :
٦٢	٢. القرآن الكريم وتفعيل الجمع الموضوعي <sup>٥</sup> :
٦٤	٣. القرآن والقيام بالعرض الموضوعي <sup>٥</sup> :
٦٥	٤. أهل البيت والاستلهام من القرآن الكريم <sup>٥</sup> :
٦٩	٥. أهل البيت والاستفادة الموضوعية من القرآن الكريم:
٧٦	٦. العلماء وعلوم القرآن:
٧٩	المرحلة الثانية: مرحلة النضج
٨٧	المرحلة الثالثة: مرحلة الانتشار
٩٥	المبحث السابع: أقسام التدبير الموضوعي
٩٥	أولاً: التفسير الموضوعي التجميعي
٩٦	ثانياً: التفسير الموضوعي الكشفي
١٠٣	حقيقة الوحدة الموضوعية
١٠٩	نفي الوحدة الموضوعية:
١١٥	إثبات الوحدة الموضوعية
١١٩	الموضوع الجلي والموضوع الخفي

المبحث الثامن: ألوان التفسير الموضوعي وخطواته.....	١٢٣
ألوان التفسير الموضوعي: .....	١٢٧
الأول: المصطلح القرآني أو المفردات القرآنية:.....	١٢٧
الثاني: الموضوع القرآني: .....	١٢٧
خطوات السير في التفسير الموضوعي <sup>٥</sup> :.....	١٢٩
خطوات كتابة تفسير السورة القرآنية <sup>٥</sup> :.....	١٣٤
توجهات إيجابية في التفسير الموضوعي:.....	١٣٥
المبحث التاسع: ميزات التفسير الموضوعي ومشكلاته وأهم العقبات التي تواجهه.....	١٣٧
مشكلات التفسير الموضوعي.....	١٤٣
أخطاء تلحق مراحل اختيار الموضوع.....	١٤٤
عقبات تواجه التفسير الموضوعي.....	١٤٨
المبحث العاشر: مجالات التفسير الموضوعي.....	١٥٥
المبحث الحادي عشر: السُنن التاريخية في القرآن الكريم.....	١٦٧
توفر القرآن الكريم على بحث سنن التاريخ.....	١٦٩
عملية التغيير الاجتماعي وأبعادها:.....	١٧٢
أساليب القرآن الكريم في بيان سنن التاريخ.....	١٧٨
أساليب القرآن في بيان سنن التاريخ.....	١٧٩
كشف القرآن عن سنن التاريخ.....	١٩٣
المبحث الثاني عشر: خصائص السنن التاريخية.....	١٩٧
الاتجاه القرآني الموضوعي والاتجاه اللاهوتي الغيبي.....	١٩٩
مجال السنن على الساحة التاريخية.....	٢٠٥
المبحث الثالث عشر: خصائص الظواهر التاريخية.....	٢٠٩

٢١٣	الفرق بين عمل الفرد وعمل الجماعة .....
٢١٩	المبحث الرابع عشر: أشكال السنن التاريخية في القرآن الكريم.....
	المبحث الخامس عشر: الفارق بين التفسير الموضوعي وغيره من التفاسير
٢٢٩	وأهم قواعده.....
٢٣٢	قواعد التفسير الموضوعي.....
٢٣٢	القاعدة الأولى: الالتزام التام بعناصر القرآن الكريم .....
٢٣٢	القاعدة الثانية: رعاية الأسلوب الصحيح .....
٢٣٣	القاعدة الثالثة: عدم الاكتفاء بجمع الآيات المشتملة على اللفظ .....
٢٣٤	القاعدة الرابعة: العناية بالتفسير التجزيئي والموضوعي.....
٢٣٥	القاعدة الخامسة: العناية بدلالات الكلمات والعبارات.....
٢٣٥	القاعدة السادسة: العناية بالتفسير التحليلي: .....
٢٣٥	القاعدة السابعة: اللجوء إلى تفسير السورة.....
٢٣٦	القاعدة الثامنة: رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن .....
٢٣٦	القاعدة التاسعة: التقيّد التام بصحيح المأثور في التفسير.....
٢٣٧	القاعدة العاشرة: تجنّب الحشو والاستطراد في التعليق .....
٢٣٨	القاعدة الحادية عشرة: التدقيق التام.....
٢٣٨	القاعدة الثانية عشر: مراعاة خصائص القرآن الكريم.....
٢٤١	الخاتمة.....
٢٤١	توصل البحث إلى النتائج الآتية: .....
٢٤٣	قائمة المصادر والمراجع.....
٢٤٣	القرآن الكريم: .....

## المقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه  
رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين)...

وبعد...

إن أجلَّ علم صُرفت فيه الهمم، علم الكتاب الكريم، إذ هو  
كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ  
من حكيمٍ حميدٍ، فيه الهدى والشفاء والرحمة والبيان والموعظة  
الحسنة والتيان، فلو أنفقت فيه أعمار البشرية لما أدركت كل أغواره  
ولو بُذلت الجهود جميعاً ما استوفت حقه، لذا ومن هنا اجتمعت  
كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره وبيانه ودراسته واستدراجه كنوزه  
والنهل من معنائه العذب، ومن أجل التمكُّن من دراسته وبيان  
مقاصده تنوعت طرائقهم في عرض علومه واختلقت مشاريعهم في  
إيضاح مكنوناته وكان للتفسير بأنواعه المختلفة الحظ الأوفر، لذا  
فالتفسير الموضوعي علم يتناول القضايا بحسب المقاصد القرآنية  
عن طريق سورة أو أكثر وهو مهم، من مناهج أو أسلوب من أساليب

علم التفسير إلى جانب التفسير التحليل والتفسير الإجمالي والتفسير  
المقارن ... إلخ.

وهو منهج مهم من مناهج تفسير القرآن الكريم بوصفه يقوم  
بجمع الآيات حول موضوع ما والنظر فيها مجتمعة بعضها مع بعض  
يُعطي الباحث رؤية عميقة يستطيع عن طريقها فهم معنى الفكرة  
المُبتَغاة ومقام أصحاب الفكرة ومنزلة من يتبعهم ... إلخ هذا الأمر لا  
يتم إلا بهذا المنهج (المنهج الموضوعي).

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يُشيد بناؤها على خمسة عشر  
مبحثًا تليها خاتمة تضمنت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج  
وثبت بالمصادر والمراجع.

وفي محاولتنا هذه لا ندعي الكمال بل نُقر بالتقصير، هي  
عُرْضة للتعديل والتطوير، فإن كُتِب لها التوفيق فذلك من فضل الله  
سبحانه وتعالى .. وإن كانت لا فحسبنا أننا بذلنا ما بوسعنا.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



# المبحث الأول

## التفسير الموضوعي

### تعريفه:

عندما تُريد الحديث عن تفسير القرآن الكريم يتبادر إلى الذهن التفسير المُتعارف (الترتيبي) حيث تُجرى عملية بحث آيات القرآن الكريم بالترتيب ومن ثمَّ توضيح مضمونها وماهيتها، وهو الأسلوب المُتَّبَع في تفسير القرآن الكريم منذ صدر الإسلام وإلى يومنا، وقام علماء الإسلام بتأليف آلاف الكتب تحت عنوان (تفسير القرآن الكريم) على هذه الطريقة<sup>(١)</sup>.

وهناك فرع آخر من التفسير الرائج إلى حدِّ ما والذي يهدف إلى تفسير مفردات القرآن الكريم أي أنه يتناول كلمات القرآن الكريم كُلُّ على حدة وبالتسلسل حسب الحروف الأبجدية وعلى هيئة معجم، ومن أبرز أنموذجات هذا التفسير كتاب (المفردات للراغب

---

(١) يُنظر: نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي: ٥.

الأصفيهانى)، وكتاب (وجوه القرآن) و(دائرة غريب القرآن) للطريحي... وغيرها من المؤلفات الأخرى<sup>(١)</sup>.

بينما توجد أنواع أخرى من تفسير القرآن الكريم منها (التفسير الموضوعي) الذي يحقق ويبحث في آيات القرآن الكريم على أساسٍ مختلف عن المواضيع المتعلقة بأصول الدين وفروعه وأمور أخرى: اجتماعية، واقتصادية، وأخلاقية... فضلاً عن جود نوع آخر من التفسير يُطلق عليه (التفسير الارتباطي) أو (التسلسلي)، حيث يتناول مواضيع القرآن الكريم المختلفة من حيث علاقتها ببعضها<sup>(٢)</sup>.

فعلى سبيل المثال بعد بحث موضوع (الإيمان) و(التقوى) و(العمل الصالح) كُلٌّ على حدة في التفسير الموضوعي تتم عملية بحث علاقة هذه المواضيع الثلاثة ببعضها عن طريق الاعتماد على الآيات والملاحظات الواردة في ذلك، ومن المعروف أن حقائق جديدة سوف تنكشف لنا عن كيفية ارتباط هذه المواضيع ببعضها تكون لها أهمية وفائدة، لذا أفضل طريقة للبحث حول عالم الخلق ما يتضمنه من كائنات هو دراسة العلاقات بين هذه الكائنات التي تؤلف هذا العالم، ففي الحقيقة الشمس والقمر والأرض والإنسان وكل

(١) نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي: ٥، ٦.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٦.

المجتمعات البشرية هي موجودات لا تنفصل عن بعضها البعض، وهي تُشكّل في مجموعها كيانًا واحدًا مرتبطًا، والأسلوب الصائب في دراستها هو أن نبحثها عن طريق ارتباطها مع بعضها البعض<sup>(١)</sup>.

وقد عرّف كثير من العلماء التفسير الموضوعي بعدة تعريفات

منها:

ما ذهب إليه السيد محمد باقر الصدر: إن التفسير الموضوعي هو ما يُقابل التفسير التجزيئي، ويعني: المنهج الذي تناول المفسّر ضمن إطار القرآن الكريم آية فآية وفقًا لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف<sup>(٢)</sup>.

وعبّر عنه بأنه (الاتجاه التوحيدي) وقال فيه: "إن التفسير الموضوعي (هو المنهج الذي) يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوعٍ من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، فيُبين ويبحث ويدرس"<sup>(٣)</sup>.

وأوضح السيد محمد باقر الحكيم قول أستاذه بقوله: " يُراد من الموضوعية ما نُسب إلى الموضوع حيث يختار المُفسّر موضوعًا معينًا، ثم يجمع الآيات التي تشترك في ذلك الموضوع، فيفسرها

(١) يُنظر: نفحات القرآن: ٦.

(٢) يُنظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد خاكر المييدي: ٣٣٩.

(٣) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر: ٣٥.

ويحاول استخلاص نظرية قرآنية منها فيما يخص ذلك الموضوع  
 (١)»

والمغزى من التفسير الموضوعي هو:

تجميع الأحداث والمجالات وترتيبها، لتتجلى وجهة نظر  
 القرآن الكريم بشأن ذلك الموضوع وأبعاده، فمثلاً تجمع الآيات  
 المتعلقة ببراهين معرفة الله تعالى كالفطرة، وبرهان النظم، وبرهان  
 الوجوب والإمكان، وباقي البراهين، إذ أن القرآن الكريم يُفسَّر بعضه  
 بعضاً، فتتضح أبعاد هذا الموضوع<sup>(٢)</sup>.

والباحث (فتح الله سعيد) عرّف التفسير الموضوعي تعريفاً  
 فنياً، بقوله: إن التفسير الموضوعي يكون بجانب التفسير التحليلي،  
 أو التفسير الموضوعي، أي التفسير الذي يتبع فيه المُفسّر ترتيب  
 المصحف، فيشرح جملة من الآيات أو السور المباركات أو القرآن  
 الكريم كله، ويُبيّن ما يتعلّق بكل آية، فالتفسير الموضوعي هو: علم  
 يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحددة معنى أو غاية عن طريق جمع  
 آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة،  
 لبيان معناها واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع<sup>(٣)</sup>.

(١) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ٣٤.

(٢) يُنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله: ٢٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠.

وقد علّق محمد فاكر على هذا التعريف، فقال: (علم) جنس من التعريف (يبحث في القرآن الكريم)، يبحث في الألفاظ والتراكيب ونحوهما، المتحددة معنى أو غاية يُخرج القضايا التي ليس بينها وحدة في المعنى أو في الغاية و(عن طريق جمع آياتها المتفرقة) أي لإخراج القضايا في موضعها في من السورة عن طريق الآية التي يتناولها المُفسّر على ترتيب المصحف الشريف<sup>(١)</sup>.

وذكر الدكتور (مصطفى مسلم) تعريفات عدة للتفسير الموضوعي، منها: "بيان ما يتعلّق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده"<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"<sup>(٣)</sup>.

كما وهو "يُفسّر القرآن موضوعاً موضوعاً، وأن تجمع الآيات الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويُعرف ترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الخاصة بها، ثم ينظر فيها بعد

(١) يُنظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ٤٠١.

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: ١٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٦.

ذلك لتُفسر وتُفهم فيكون ذلك التفسير أهوى إلى المعنى وأوثق في تحديده "(١)".

وكذا هو أن "يعمد المُفسّر أولاً إلى جمع الآيات التي وردت في موضوعٍ واحدٍ، ثم يصفها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض فيتجلى له الحكم ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع" (٢).

ومن التعريفات الدقيقة للتفسير الموضوعي هو: "أن يقوم جملة من المتخصصين على دراسة شذرات ونجوم من القرآن الكريم كل حسب تخصصه فيجمع مادة موضوع من مواضع القرآن ويستقصيها إحصاءً لتكون هيكلًا مترابطًا بشكل وحدة موضوعية متكاملة واحدة، ثم يقوم بتفسيرها بحسب منهجه" (٣).

وعرّفه السبحاني بأنه: "أن يعمد المُفسّر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صلة خاصة، كالمحكم والمتشابه، والناسخ

(١) التفسير، نشأته، تدرجه، تطوره، أمين الخولي، تحقيق: إبراهيم خورشيد: ٥:

(٢) تفسير القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأولى، محمد شلتوت: ١٠.

(٣) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. محمد حسين علي

والمسوخ وآيات الأحكام... إلى غير ذلك من الموضوعات التي لا  
تعم جميع آيات القرآن، بل تختص بموضوعٍ واحدٍ<sup>(١)</sup>.  
وللسيد (محمد باقر الحكيم) تعريف للتفسير الموضوعي  
قال فيه:

" هو التفسير الذي يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة  
تعرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة أو في موضعٍ واحدٍ"<sup>(٢)</sup>.  
لذا فالتفسير الموضوعي يجمع الآيات ذات الصلة الواحدة،  
أي ذات الموضوع الواحد التي تطرَّق لها القرآن الكريم، ودراستها  
على ضوء منهج التفسير الموضوعي المختار والمُتَّبَع من قِبَل  
الباحث للوصول إلى مُراد الله سبحانه.

### العناصر المشتركة فيما سبق من التعريفات<sup>(٣)</sup>:

١. الدراسة القرآنية ونفي الأبحاث الخارجة عن القرآن الكريم.
٢. جعل التفسير الموضوعي علمًا مستقلًا، ولا بأس به؛ لأن  
الباحثين في علوم القرآن يعدون المباحث المستقلة علمًا واحدًا  
كعلم الناسخ والمنسوخ وعلم المكي والمدني.

(١) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم، الشيخ جعفر السبحاني: ٢٦٤.

(٢) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم: ٣٢٢.

(٣) يُنظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنَّة: ٤٠١، ٤٠٢.

٣. وحدة الموضوع والحذر من الأبحاث المشتتة ولو كانت قرآنية.
٤. تجميع الآيات في ترتيبها الخاص.
٥. اشتراك المعنى والغاية في تفسير الآيات.
٦. مقاصد القرآن الكريم التي تتضمنها السور القرآنية.
٧. تجلّي وجهة نظر القرآن الكريم بشأن الموضوع الذي يختص بأمرٍ معينٍ.

٨. استخراج عناصر الآية وبيان ربطها.

ونستطيع تحديد التفسير الموضوعي: بأنه البحث وراء الحصول على نظريات قرآنية ذات محورية خاصة بمواضيع تمس جوانب الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية ... بحثاً من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية متكاملة بشأن تلك المواضيع، فهي مسائل ودلائل ذات صيغة قرآنية بحتة واستنتاجات مستحصلة من ذات القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

وعليه فالبحث عن شؤون القرآن الكريم هي مسائل ودلائل تدور حول القرآن الكريم خارج من هذا التحديد ... كالبحث عن القراءات وعن أعاريب القرآن الكريم، والبحث عن بلاغته وإعجاز بيانه، وعن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وكذا البحث عن محكمات القرآن الكريم ومتشابهاته وعن الحروف المُقطّعة وغيرها

(١) يُنظر: التمهيد في علوم القرآن، العلامة محمد هادي معرفة: ٥٢١.



مما اصطلح عليه الباحثون اسم (علوم القرآن) وهي العلوم الباحثة عن شؤون القرآن الكريم عامة، وليس بحثًا وراء الحصول على نظرة القرآن الكريم بل بحثًا وراء نظرات حول الكتاب المبارك وعن شؤونه.

### ماهية التفسير الموضوعي:

الموضوعي نسبة إلى الموضوع المشتق من الوضع، وهو جعل الشيء في مكانٍ ما، فهو علم له قواعده وأُسسُه، وأصوله، ومنهجه، وطريقة يلتزم بها الباحث بجمع الآيات التي تبحث عن موضوعٍ واحدٍ، أو مصطلحٍ واحدٍ من مختلف السور ثم يفسرها موضوعياً، حسب المقاصد القرآنية عن طريق بحثه القرآني في تلك الآيات<sup>(١)</sup>.

إذن فالتفسير الموضوعي عليه أن يجمع كل الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد ومشترك في موضوعٍ واحدٍ، حتى وإن اختلفت أسباب النزول والتاريخ، حتى وإن تعددت السور التي ترتبت فيها ومكانه، وبعدها يتناولها بالبحث والشرح من جميع جوانبها من حيث<sup>(٢)</sup>:

(١) يُنظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين، د. محمد قاسم الشوم: ٣٦٠.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه؛ ٣٦٠.

- أسباب نزولها.
- أماكن نزولها.
- المعاني اللغوية.
- الإعراب والبلاغة والمجاز.
- الأحكام الفقهية.
- شرح الآيات شرحًا وافيًا.

وكل ما يتعلّق بتلك الآيات بحيث تُغني عن بقية التفاسير ويعنونون لهذه المجموعة بعنوانٍ واحدٍ، هو المتبادر إلى ذهن السامع مثل آيات التوحيد، والحج، والزكاة، والصوم، وآيات التقوى، والأخلاق، والقسم، والجهاد، وغيرها.

### مدى أهمية التفسير الموضوعي:

عبّر الشيخ جعفر السبحاني عن التفسير الموضوعي مبيّنًا أهميته بأنه: (الثروة التفسيرية الكبرى)، وقال: إن من إحدى الطرق المؤثرة التي لا بُدَّ للمفسرين أن يسلكوها لأجل شرح القرآن الكريم وتفهم مقاصده العالية أن يحدثوا تحولاً عميقاً في منهجية التفسير، وذلك بامتناعهم عن تفسير القرآن الكريم بالمنهجية الرتيبة المعتادة عند المفسرين، كتفسير القرآن الكريم سورة بعد أخرى وآية بعد آية (التفسير التجزيئي) لغرض لفت النظر إلى منهجية أخرى وهي تفسير القرآن الكريم بالشكل الموضوعي وعن طريق هذه المنهجية ستفتح

لهم آفاق عظيمة من العلوم، والمعارف القرآنية ويرون مدى تأثيرها في نظرتهم التفسيرية<sup>(١)</sup>.

### فوائد التفسير الموضوعي:

تتضح لنا هذه الفوائد من كتاب (نفحات القرآن) للشيخ: مكارم الشيرازي بقوله: " للتفسير الموضوعي فوائد منها:

إزالة الإشكالات التي تبرز في بعض الآيات للوهلة الأولى، وحل المتشابه في القرآن، منها الاطلاع على ظروف ومزايا وأسباب ونتائج المواضيع، والأمور المختلفة المطروحة في القرآن الكريم، منها الحصول على تفسير جامع بشأن المواضيع مثل: التوحيد، ومعرفة الله والمعاد والعبادات، والجهاد ومواضيع مهمة أخرى، منها الحصول على أسرار وإيحاءات جديدة من القرآن من خلال إلحاق الآيات بعضها ببعض<sup>(٢)</sup>.

والتفسير الموضوعي هو " تفسير هذا العصر، وهو تفسير المستقبل أيضاً، وله أهمية كبرى عند المسلمين، وحاجتهم إليه ماسة، وهذا التفسير الموضوعي يحقق للمسلمين فوائد عدة: من حيث صلتهم بالقرآن الكريم، وتعرّفهم على مبادئه وحقائقه ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافتهم، ومن حيث عملهم على

(١) يُنظر: الميثاق الخالد، جعفر السبحاني: ١ : ١١ .

(٢) نفحات القرآن، أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ١ : ١٢ .

إصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم، ومن حيث حسن عرض القرآن والإسلام على الآخرين، والوقوف أمام الأعداء والمخالفين"<sup>(١)</sup>.

وأخذ عبد الفتاح الخالدي بيان ستة عشر موردًا لهذه الأهمية منها<sup>(٢)</sup>:

١. التفسير الموضوعي من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول لها على أساس القرآن الكريم.

٢. التفسير الموضوعي وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن الكريم تقديمًا علميًا منهجيًا، وإبراز عظمة القرآن الكريم، وحُسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستعمال المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة وسيلة وأداة لفهم هذا العرض.

٣. التفسير الموضوعي كفيل ببيان حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عمومًا وإلى الإسلام والقرآن خصوصًا.

٤. بالتفسير الموضوعي تظهر الحيوية الواقعية للقرآن الكريم، وتحقق المهمة العلمية الحركية للقرآن الكريم، فلا ينظر الباحث إلى موضوعات القرآن الكريم على أنها موضوعات قديمة، نزلت

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٤٨.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٤٨-٥٠.

قبل خمسة عشر قرناً، وإنما يعرضها في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية، وتهتم بأمور بشرية، وهذا هو البعد الحي للقرآن الكريم.

٥. التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها أمام الباحثين عرضاً قرآنياً علمياً منهجياً، وتصويب هذه الدراسات، وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.

٦. التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ويحقق هذه المقاصد والأوليات القرآنية في حياة المسلمين.

٧. التفسير الموضوعي يعيد توثيق الصلة القرآنية لمختلف العلوم الشرعية الإسلامية ويعرض هذه العلوم الشرعية على أساس توجيهات وحقائق القرآن الكريم، وبه يتم إلغاء كل ما لا يتفق من هذه العلوم ومنها: العقيدة، والبلاغة، والنحو، والتاريخ، والقصص والأحكام.

٨. بالتفسير الموضوعي يتم تقديم مناهج الدعوة والحركة والإصلاح، ويتعرف الدعاة والعاملون للإسلام على حقائق القرآن الكريم فقه الدعوة والجهاد.

٩. التفسير الموضوعي أساس التأصيل القرآني للعلوم والموضوعات والمعارف الإنسانية والحضارية المختلفة التي

يُقْبَلُ عليها المثقفون في هذا العصر، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، والثقافة والحضارة.

١٠. بالتفسير الموضوعي يتم توسيع دلالات ومضامين الآيات القرآنية، وإضافة الأبعاد والمعاني الجديدة إليها التي لا يلتفت لها السابقون من المفسرين.

١١. بالتفسير الموضوعي يصل الباحثون إلى الغاية من الآيات والموضوعات القرآنية والتفاسير السابقة الموضوعية التحليلية هي وسيلة إلى هذه الغاية وتمهيد لهذه النتيجة.

١٢. التفسير الموضوعي هو الوسيلة المنهجية العلمية للارتفاع بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين، فعن طريق البحث في موضوعات القرآن الكريم يقوم الباحث برياسة عقلية علمية، يشحذ بها ذهنه ويُمَرِّنُ بها عقله ويُدرِّبُ بها نظراته.

١٣. يبدو بالتأمل والدقة أن الخالدي بالغ في الأمر؛ لأن كثيراً من هذه الأمور ومنها المورد السادس إلى الأخير لا يختص بالتفسير الموضوعي بل يعم التفسير بكلا القسمين الموضوعي والموضوعي.

### خلاصة الأهمية<sup>(١)</sup>:

١. يجمع الآيات المتفرقة ذات الموضوع الواحد، المتفرقة في سور القرآن الكريم تحت عنوان واحد، وهدف واحد، ونتيجة واحدة.
٢. يدرك الدارس ما بين الآيات من انسجامٍ وترايطٍ، فيسهل عليه تفهّم معاني القرآن الكريم بابًا بابًا وموضوعًا موضوعًا كلُّ على حدة.
٣. يعطي الباحث في موضوعٍ واحدٍ فكرةً تامةً تُمكنه من إدراك ما ورد فيه من نصوصٍ.
٤. يمنح الباحث سهولة رد الشبهات، ودفع التعارض التي قد يُثيرها أعداء الإسلام والجهلة بالدين الذين يقولون أن هناك تعارضًا بين الدين والسياسة أو بين الدين والعلوم الحديثة، أو بين الدين والحياة الاجتماعية، وغيرها.
٥. مسaire روح العصر الحديث الذي تعود الاطلاع على الكتب المحددة المقسمة على أبواب وفصول.
٦. يُمكن الدعاة من الإحاطة التامة بأبعاد الموضوع الذي يُراد أن يطلعوا عليه، والوصول إلى هدفه بأقرب الطرق دون تعبٍ ومشقةٍ وبسهولةٍ ودون أن يهدر الوقت الكثير في البحث والتنقيب في بطون الكتب.

(١) يُنظر: البداية في التفسير الموضوعي، د. عبد الحي الفرماوي: ١٠٠.

٧. تمكين الباحث من أن يشرح الموضوع بطريقةٍ وافيةٍ.

### تحديد منهج التفسير الموضوعي<sup>(١)</sup>:

١. اختيار الموضوع الذي يقصد دراسته موضوعياً.
٢. جمع الآيات القرآنية المتصلة بالموضوع.
٣. ترتيب الآيات حسب نزولها مع ذكر أسباب النزول.
٤. ذكر المناسبة بين الآيات في السورة.
٥. منهج البحث المختار في الدراسة.
٦. جمع الأحاديث النبوية المتصلة بالموضوع وتخريجها.
٧. الاستشهاد بكلام العرب وأشعارهم.
٨. الدراسة الموضوعية من كل الجوانب والرد على الشبهات.
٩. توظيف معنى الآيات في حياتنا الاجتماعية واستخلاص الهدف الذي يرمي إليه هذا الموضوع.

### أهداف التفسير الموضوعي<sup>(٢)</sup>:

١. يهدف هذا النوع من التفسير إلى اكتشاف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص، عن طريق مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكارٍ واتجاهاتٍ.

(١) يُنظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦١.

(٢) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢٣، ٢٤.



٢. يهدف إلى تقديم فهم جديد للنص يؤسس لمقاربات بنائية تندفع معها مجموعة من الشبهات والإشكالات الحديثة.

٣. يهدف إلى استنطاق المعنى الباطن بحسب تعبير الروايات تأويلاً للآيات لا تفسيراً لها، فهو يبحث عن الموضوعات والمعاني الخارجية التي تؤول إليها مدلولات الآيات لا عن المدلولات الوصفية والاستعمالية للألفاظ، ولهذا المعنى عرض عرضاً مفصلاً ولعله هو الكافل لشمول القرآن الكريم وعمومه لكل الأزمان والأحيان فلولا ترك المفاهيم العامة المنتزعة من موارد خاصة لما بقيت لأكثر الآيات فائدة كبيرة، سوى تلاوتها وترتيبها ليل نهار.

### سبب التسمية:

تُعزى سبب تسمية هذا النوع من التفسير بالموضوعي أو التوحيدي لأسباب، ولكن لا بد من معرفة أن الموضوعية هنا لا يُقصد بها الموضوعية في مقابل (الذاتية) و(التحيُّز) والتي هي عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث<sup>(١)</sup>، فهذه الموضوعية مفترضة في المنهج التجزيئي والمنهج الموضوعي على السواء.

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٣٠.

أما الموضوعية هنا فسوف يتبين لنا معناها عندما تُبين السبب في إطلاق هذا المصطلح على هذا النوع من أنواع التفسير في أمرين<sup>(١)</sup>.

الأول: أن المفسر في هذا النوع من التفسير يبدأ عمله من واقع الحياة فيركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة، ثم يطرحه بين يدي النص القرآني ويبدأ مع النص حوارًا وجوابًا، المُفسر يسأل والقرآن يُجيب، ولذلك يُعبّر عن هذا النوع من التفسير بـ(الموضوعي) باعتبار أنه يبدأ مع الموضوع الخارجي وينتهي إلى القرآن الكريم.

ويُسمّى (التوحيدي) على هذا الضوء باعتبار أنه يوحد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن الكريم ولا يخضع القرآن الكريم للتجربة البشرية بل بمعنى أنه يوجد بينهما في سياق بحث واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد في البحث.

الثاني: المفسر في هذا النوع من التفسير يختار موضوعًا معينًا ثم يجمع الآيات التي تشترك في ذلك الموضوع فيفسرها، ولذلك يُسمّى هذا النوع من التفسير بالموضوعي، ويعتبر توحيدي لأنه يُوحّد بين هذه الآيات ضمن مركب نظري واحد.

(١) المصدر نفسه: ٣٥، ٣٦.

## ما هو التفسير الموضوعي؟

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من طرح سؤال آخر: لماذا لم يُرتَّب القرآن الكريم بأسلوب موضوعي يُشبه الكتب المتداولة؟ بل إنه جُمع بشكلٍ يختلف عنها جميعاً؟.

والجواب هو أن المؤلفين " يأخذون في بنظر الاعتبار مختلف المواضيع المتشابهة في حقل واحد من أجل إعداد الكتب المتداولة، فمثلاً في علم الطب يأخذ بنظر الاعتبار مختلف الأمراض التي ترتبط بمسألة صحة الإنسان، ثم تُقسم المسائل المتعلقة بهذه المواضيع على فصولٍ وأبوابٍ (أمراض القلب، الأمراض العصبية، أمراض الجهاز التنفسي، الأمراض الجلدية وسائر الأمراض) " (١).

ومن ثمَّ يبحثون كل فصل وكل بابٍ عن طريق الاعتماد على المقدمات ونتائجها وبهذا النحو يتم تأليف كتاب باسم كتاب الطب، بيد أن القرآن الكريم ليس كذلك فهو كتاب نزل على مدة (٢٣ سنة) وفقاً للحاجات والظروف الاجتماعية المختلفة والوقائع المتباينة والمراحل التربوية المتفاوتة وكافة شؤون الحياة (حياة المجتمع الإسلامي)، وفي الوقت نفسه لم يتعلَّق بزمانٍ ومكانٍ معينين؛ بوصفه وقتاً تدور كافة بحوث القرآن الكريم حول محور مقارعة الوثنية

(١) نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، العلم

والشرك وبيان التوحيد بكل فروعِهِ، والسور والآيات النازلة في هذه المرحلة كَُلِّها في المبدأ والمعاد: (كالسور التي نزلت في مكة خلال السنوات الثلاث عشر الأولى من البعثة)، وكذا في زمانٍ آخر نرى محور البحث والحديث ساخناً قوياً حول الجهاد وكيفية مواجهة الأعداء في الداخل والخارج والمنافقين<sup>(١)</sup>.

وعندما وقعت غزوة الأحزاب نزلت سورة الأحزاب المباركة، وما لا يقل عن (١٧ آية) منها تتحدث عن هذه المعركة والتجارب والقضايا التربوية فيها ووقائعها، وحينما جرت واقعة صلح الحديبية (غزوة حنين) نزلت سورة الإخلاص وآيات أخرى، وهكذا نزلت بقية الآيات<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة: أن الآيات والسور نزلت متزامنة مع انتشار الإسلام والتحرُّك العام للمجتمع الإسلامي كانت تنزل الآيات المناسبة وتصدر الأوامر اللازمة وهذا ما كان يكمل المسيرة التكاملية للإنسان، لذا فاستناداً إلى ما ذكرنا آنفاً يتضح المغزى من التفسير الموضوعي وهو جمع الأحداث والوقائع المتعلقة بذلك الموضوع

(١) يُنظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، العلم والمعرفة ٧، ٨.

(٢) يُنظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، العلم والمعرفة: ٨.

وترتيبها تتجلى وجهة نظر القرآن الكريم في نشأة ذلك الموضوع وأبعاده.

فمثلاً تُجمع الآيات المتعلقة ببراهين معرفة الله تعالى، كالفطرة وبرهان النظم وبرهان الوجوب والإمكان وباقي البراهين، وحيث إن القرآن الكريم يُفسَّر بعضه بعضاً تتضح أبعاد هذا الموضوع، وهكذا بالنسبة للآيات المتعلقة بالجنة أو النار، والصراف وصحيفة الأعمال، والآيات المتعلقة بالقضايا الأخلاقية، والتقوى وحُسن الخلق والشجاعة... والآيات المتعلقة بأحكام الصلاة والصوم والزكاة والخمس، والآيات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية وجهاد الأعداء وجهاد النفس... لذا فالمُسلَّم به أن هذه الآيات التي نزلت في مناسباتٍ مختلفة عندما تُجمع كل طائفةٍ منها على حدة وتُنظَّم وتُفسَّر فسوف تنكشف عنها حقائق جديدة<sup>(١)</sup>، ومن هنا فالتفسير الموضوعي هو تفسير المستقبل وله أهمية عند المسلمين لحاجتهم الماسة إليه بوصفه ضرورة منهجية لتقديم القرآن الكريم تقديمًا علميًا ممنهجيًا للإنسان في عصره، وإبراز عظمة الكتاب الكريم فضلاً عن حُسن عرض الموضوعات القرآنية المباركة.

(١) يُنظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، العلم



# المبحث الثاني

## مرجحات التفسير الموضوعي

ذكر السيد محمد باقر الصدر ثلاث مرجحات للمنهج

الموضوعي، هي:

أ- يمثل التفسير الموضوعي حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، إذ أن المفسر يبدأ من واقع الحياة، فيتخذ موضوعاً من موضوعات الحياة (العقائدية أو الاجتماعية...) فيستوعب ما أُثير حول هذا الموضوع من أفكار ومشاكل وحلول، ثم يعرضها على القرآن الكريم موضوعاً جاهزاً<sup>(١)</sup>، ومن هنا سوف تتضح مواكبة القرآن الكريم للحياة، وممازجة الهدف الديني مع الهدف الاجتماعي<sup>(٢)</sup>، وسوف يلاحق هذا النوع من التفسير "قضايا العصر التي أصبح جيلنا في حيرةٍ من أمرها ويراقب عن كثبٍ رأي الدين في هذه القضايا"<sup>(٣)</sup>، إذ بواسطة هذا المنهج يُمكن رفع

---

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر: ٣٩.

(٢) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين الصغير:

(٣) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حكمت عبيد: ٢٣.

النقاب عن كثيرٍ من أسرار القرآن الكريم الخفية، والخوض في أعماق آياته.

فعلية تتضح قدرة الكتاب المبارك على القيمة الدائمة والعطاء الأزلي المستجد، الذي لا ينفذ، قدرته على الإبداع دائماً، وكذا إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، فمستجدات العصر من قضايا ومشاكل ومواقف تتضح وتتجلى في القرآن الكريم بلا لبسٍ ولا غموضٍ عن طريق هذه الدراسات الموضوعية فيسجل عندئذ سبق القرآن الكريم إليها، ويدل ذلك على كونه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه الذي لا تقتضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ولا دلائل إعجازه<sup>(١)</sup>.

ب- يحاول التفسير الموضوعي أن يستحصل أوجه الارتباط بين المدلولات التفصيلية لآيات القرآن الكريم ويصل عن طريقها إلى مُركَّب نظري قرآني، وهو بذلك يتقدّم خطوة على التفسير التجزيئي الذي يكتفي بإبراز هذه المدلولات اللفظية<sup>(٢)</sup>.

لذا فعند وضع آية معينة إلى جوار آية أخرى (لها نفس المعنى والدلالة) فسوف تكون جديدة ومؤثرة في المقطع القرآني إذا كان يفقد الآية تأثيرها لوبقيت معزولة عن أختها الآية

(١) يُنظر: مقدمة في التفسير الموضوعي، محمد عبد العزيز الحضيري: ٤.

(٢) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٣٤.



الأخرى، لذا من هنا يُمكننا معرفة العامل المشترك الذي يوجد بين مجموعة الآيات التي يحتويها النص، بل ووجه صلتها بالمجموعة الأخرى المجاورة لها.

ت- لقد أدَّت " حالة التناثر ونزعة الاتجاه التجزيئي إلى ظهور التناقضات المذهبية العديدة من الحياة الإسلامية، إذ كان يكفي أن يجد هذا المفسر أو ذاك آية تبرز مذهبه لكي يعلن عنه ويجمع حوله الأنصار والأشباع كما وقع في كثير من المسائل الكلامية، كمسألة الجبر والتفويض والاختيار مثلاً بينما كان بالإمكان تفادي كثير من هذه التناقضات لو أن المفسر التجزيئي خطا خطوة أخرى، ولم يقتصر على هذا المجتمع العددي كما نرى ذلك في الاتجاه الموضوعي"<sup>(١)</sup>.

وقد عبَّ السيد الحكيم على هذه المقولة بقوله: " وقد نفهم من حديث السيد الشهيد السابق أنه يضيف إلى جملة مرجحات المنهج الموضوعي في التفسير على المنهج التجزيئي أمراً وهو أن التفسير التجزيئي يُمثِّل حالة من السطحية النسبية في التفسير قياساً إلى العمق الموجود في المنهج الآخر، وهذه الحالة هي حالة التفسير اللغوي واللفظي، بخلاف التفسير الموضوعي الذي يُمثِّل الحالة العميقة في البحوث التفسيرية"<sup>(٢)</sup>.

(١) المدرسة القرآنية: ٢٣.

(٢) تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم: ٩٧، ٩٨.

## مرجحات أخرى:

أ- التفسير الموضوعي فيه ردًا لشبهات المستشرقين وتلفيق المستغربين من أن القرآن الكريم فيه تكرارًا لا داعي له للموضوع الواحد<sup>(١)</sup>.

ب- من مرجحاته فيه تأصيلًا لبعض الدراسات أو تصحيحًا لمسارها، يرى بعضهم أن هناك علومًا جديدة برزت تحتاج إلى تأصيل بضبط مسارها كالإعجاز العلمي للقرآن الكريم فضلًا عن علوم ودراسات قائمة منذ القدم، كعلم التأريخ الذي اكتفى بسرد الوقائع والأحداث دون التعرُّض لسُنن الله تعالى في الكون والمجتمع، فضلًا عن بعض الانحرافات الموثقة في كتب التفسير والتي تخالف النص القرآني<sup>(٢)</sup>.

- ملاحظات السيد محمد باقر الحكيم حول مرجحات السيد محمد باقر الصدر للتفسير الموضوعي:

لقد أجرى السيد الحكيم ملحوظات حول مرجحات السيد الصدر للتفسير الموضوعي على التفسير التجزيئي، وهو:

## المرجع الأول:

لا يعتبر السيد محمد باقر الحكيم ملاحظة الواقع الموضوعي القائم وإثارته ومحاولة الحصول على معالجة لهذا الواقع عن طريق

(١) يُنظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حكمت عبيد: ٢٤.

(٢) يُنظر: مقدمة في التفسير الموضوعي: ٦.

القرآن الكريم خصوصية ومرجعًا للمنهج الموضوعي؛ لأن هذا المرجح قائم وموجود في منهج التفسير التجزيئي أيضًا، وبمراجعة كتب التفسير لمختلف العصور، نجد أن هذه المعالجة للواقع الموضوعي الخارجي في التفسير قائمة وموجودة، وغاية ما في الأمر أن هذه المعالجة قد تختلف باختلاف المفسر والإثارات التي يثيرها الواقع الموضوعي، وقدرة المفسر على معالجة الموضوعات والقضايا المختلفة<sup>(١)</sup>.

ويضرب لنا مثالاً على ذلك<sup>(٢)</sup>:

- أ- الصراع والاختلاف في تفسير العقيدة الإسلامية بين المعتزلة والأشاعرة، والذي انعكس على كتب التفسير في زمانه ومن الواضح أن المنهج المثبت آنذاك هو (المنهج التجريبي فكانوا يجدون حلاً للمشكلات التي يعيشها الواقع الموضوعي في ضوء ما يقرره المقطع القرآني).
- ب- محاولات العلماء استكشاف القوانين التي تحكم علوم النحو والبلاغة في بداية تقنياتها وتأثر كتب التفسير بذلك، فأصبح القرآن الكريم المصدر الأساس لاستكشاف هذه القواعد.

(١) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ٩٩.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ١٠٠.

ت- محاولات بعض المفسرين في العصر الحديث للإجابة في تفاسيره عن التساؤلات والإثارات التي يشهدها الواقع الموضوعي الخارجي.

إذن فملاحظة الواقع الموضوعي أمر مشترك بين المنهجين (التجزئي والموضوعي)، وإن لفظة (الموضوع) لا ينبغي أن تحدد ارتباط هذا المنهج دون ذلك مع الواقع الخارجي.

### المرجع الثاني:

يرى السيد محمد باقر الحكيم هذا المرجح صحيحاً وإيجابياً لصالح المنهج الموضوعي باعتبار أن ميزة هذا المنهج هي استكشاف النظريات القرآنية، ولكنه يُشير إلى مسألةٍ وهي:

لا يعني استخلاص بعض النظريات عن طريق آية أو مقطع قرآني بأن المنهج المُتَّبَع (تجزئي) بل هو (موضوعي)؛ لأن المنهج الموضوعي (الموضوع) منهج استخلاص النظرية، أما المنهج التجزيئي هو الذي يتم عن طريقه محاولة فهم مضمون الآية دون استخلاص النظرية.

### المرجع الثالث:

لا يأخذ السيد الحكيم بهذا المرجح لأنه افتراض وجود التناقضات والاختلافات قائم على أساس المنهجين، وهناك كثير من الباحثين والمفسرين في العصور المتأخرة اعتمدوا المنهج

الموضوعي وكانت نتائجهما متباينة ومتناقضة، إذ أن هذا التناقض لا علاقة له بالمنهج وإنما سببه:

أ- فرض المتبنيات الذاتية للإنسان والتي يتبناها من خارج القرآن الكريم على القرآن الكريم ومعناه ومفهومه، وهذا هو (التفسير المتحيز).

ب- سبب موضوعي ومراده عدم بذل الجهد المناسب والكافي في عملية التفسير أو عدم امتلاك القدرة المناسبة لأجل استيعاب المضمون القرآني.

وكلا السببين ليس مما يختص به المنهج التجزيئي دون المنهج الموضوعي<sup>(١)</sup>.

### تعقيب:

اشتهر بين العلماء أن ثمة منهجين في التفسير، اصطلاح على الأول منهما بالتجزيئي وعلى ثانيهما بالموضوعي، وكيف ما كان السابق منهما والأشهر بينهما فإننا نلمح أن نمطاً بل منهجاً ثالثاً يلوّح به بعض العلماء المعاصرين وإن لم ترد فيه العبارات صريحة كمصطلح بارز كما في سابقه.

والذي يُمكن أن يكون منهجاً وسطاً أو برزخاً بينهما، لا نعني بذلك أن لا هذا أو ذاك بل هو أشبه بالجامع بينهما، فمن حيث هو

(١) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١٠٢.

يتناول الآيات وفق تسلسل ذكرها القرآن مجموعاً أو متقطعاً يكون ترتيباً وبلحاظ ربط الآية بما يتصل بها قرآنيًا -مضافاً للنصوص الأخرى- ليكون استكشافاً للمدلول النصي عن طريق استنطاق النصوص التي تصب في مؤداه وصولاً للمُراد الأخير منها لتطبيقه بكل خصوصياته وأبعاده يكون أكثر ميلاً للموضوعي منه إلى التجزيئي.

### رؤية السيد محمد باقر الحكيم للمناهج التفسيرية<sup>(١)</sup>:

على الرغم من تعدد أساليب ومناهج التفسير واختلافها ومن ثمَّ تعدد مدارسه المتبناة من المفسرين في مختلف العصور يبقى أهم المناهج التفسيرية وأبرزها منهجاً التفسير التجزيئي (الترتيبي) والتفسير الموضوعي (التوحيدي) ولكلا المنهجين اتجاهه ومرجحاته عند مَنْ يتبناه من المفسرين، ولذلك فلا بد لنا أن نفهم ما هو المُراد منهما (على صعيد التعريف والخصائص والمرجحات لكل منهما).

(١) يُنظر: علوم القرآن: ٥٠.

# المبحث الثالث

## تعريف المنهج التجزيئي، وأسباب شيوعه

لا شك في تنوع التفسير واختلاف مذاهبه وتعدد مدارسه والتباين في كثيرٍ من الأحيان بين اهتماماته واتجاهاته، فهناك التفسير الذي يهتم بالجانب اللفظي والأدبي والبلاغي من النص القرآني، وهناك التفسير الذي يهتم بالجانب المحتوى والمعنى والمضمون، وهناك التفسير الذي يُركِّز على الحديث ويُفسِّر النص القرآني بالمأثور عن الرسول ﷺ أو بالمأثور عن الصحابة والتابعين.

وهناك التفسير الذي يعتمد العقل أيضاً كأساس من عمق التفسير وفهم كتاب الله سبحانه وتعالى، وهناك التفسير المتحيز الذي يتخذ مواقف مذهبية مسبقة يحاول أن يطبق النص القرآني على أساسها، وهناك التفسير غير المتحيز الذي يحاول أن يستنطق القرآن الكريم نفسه ويطبق الرأي على القرآن لا القرآن على الرأي إلى غير ذلك من الاتجاهات المختلفة في التفسير الإسلامي<sup>(١)</sup>.

---

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢٠.

إلا أن الذي يهمننا بصورة خاصة ونحن نخوض في هذه الدراسة القرآنية التركيز على أبرز اتجاهين رئيسيين كحركة التفسير في الفكر الإسلامي ونطلق على أحدهما اسم الاتجاه التجزيئي في التفسير، وعلى الآخر اسم الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي في التفسير<sup>(١)</sup>.

يُعرّف المنهج التجريبي بأنه: "يتناول المفسرون تفسر القرآن على ترتيب سورته، يقفون منها عند بعض الآيات، أو الآية، أو الجملة من الآية فيبينون ما فيها على اللون الذي يؤثره المتناول وتضفيه شخصيته على تفسيره"<sup>(٢)</sup>.

ونعني بالاتجاه التجزيئي: "المنهج الذي يتناول المفسر ضمن إطاره القرآن الكريم آية آية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف"<sup>(٣)</sup>.

وذكر الشيخ: السبحاني: المنهج التجزيئي هو "تفسير القرآن سورة بعد سورة، وآية بعد آية"<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢٠.

(٢) التفسير: نشأته، تدرُّجه، تطوره: ٥: ٣٦٥.

(٣) المدرسة القرآنية: ٢٠.

(٤) قدماء الشيعة وعلم التفسير، جعفر السبحاني: ٢٦٥.



وفيما ذكره السيد الحكيم: " تفسير الآيات القرآنية بحسب تسلسل عرضها في القرآن الكريم وتنتهي مهمة تفسيرها عند تحديد معنى الآية موضوع البحث، مع ملاحظة بعض ظروف السياق أو بعض الآيات الأخرى المشتركة معها في نفس الموضوع"<sup>(١)</sup>.

وللخضيري رأي في تعريفه بوصفه " بيان معنى الألفاظ في الآية وبلاغة التركيب والنظم وأسباب النزول، واختلاف المفسرين في الآية ويذكر حكم الآية وأحكامها، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك"<sup>(٢)</sup>.

والمفسّر في إطار هذا المنهج يسير مع المصحف ويُفسّره تدريجيًا بما يؤمن به من أدواتٍ ووسائلٍ للتفسير، من الظهور أو المأثور من الأحاديث أو العقل أو الآيات الأخرى تشترك مع تلك الآية في مصطلحٍ أو مفهومٍ بالقدر الذي يلقي ضوءًا على مدلول القطعة القرآنية التي يُراد تفسيرها مع أخذ السياق الذي وقعت تلك القطعة ضمنه بعين الاعتبار من كل تلك الحالات"<sup>(٣)</sup>.

(١) علوم القرآن: ٣٩٥.

(٢) مقدمة في التفسير الموضوعي، محمد عبد العزيز الخضيري: ١.

(٣) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢٠، ٢١.

وعند الحديث عن التفسير التجزيئي نقدّمه بأوسع وأكمل صورة التي انتهى إليها، فالتفسير التجزيئي تدّرج تاريخياً إلى أن وصل إلى مستوى الاستيعاب الشامل للقرآن الكريم بالطريقة التجزيئية<sup>(١)</sup>.

وقد بدأ في عصر الصحابة والتابعين على مستوى شرح تجزيئي لبعض الآيات القرآنية وتفسير لمفرداتها، وكما امتد الزمن ازدادت الحاجة إلى تفسير المزيد من الآيات إلى أن انتهى للصورة التي قدّم فيها ابن ماجة والطبري وغيرهم كتبهم في التفسير في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، وكانت تمثل أوسع صورة من المنهج التجزيئي في التفسير، فهو يستهدف فهم مدلول الألفاظ، وهذا الفهم كان في البداية متيسراً لعدد كبير من الناس، ثم بدأ اللفظ يتعقد من حيث المعنى بمرور الزمن وازدياد الفاصل وتراكم القدرات والتجارب وتطور الأحداث والأوضاع<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا توسع التفسير التجزيئي تبعاً لما اعترض النص القرآني من غموضٍ ومن شكٍّ في تحديد مفهوم اللفظ حتى تكامل في موسوعات التفسير، حيث إن المفسر يبدأ من الآية الأولى من سورة الفاتحة إلى سورة الناس فيفسّر القرآن الكريم آية آية؛ لأن كثيراً من

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢١.

الآيات بمرور الزمن أصبح معناها ومدلولها اللفظي بحاجة إلى إبراز تجربة أو تأكيد ونحو ذلك، هذا هو التفسير التجزيئي<sup>(١)</sup>.

لكن ليس المفهوم من هذا الكلام أننا لا نعني بالتجزئية أن المُفسِّر يقطع نظره عن سائر الآيات ولا يستعين بها في فهم الآية المطروحة للبحث، بل إنه قد يستعين بآياتٍ أخرى في هذا المجال كما يستعين بالأحاديث والروايات، ولكن هذه الاستعانة تتم بقصد الكشف عن المدلول اللفظي الذي تحمله الآية المطروحة للبحث، فالهدف في كل خطوة من هذا التفسير فهم مدلول الآية التي يواجهها المُفسِّر بكل الوسائل المُمكنة أي أن الهدف هدف تجزيئي<sup>(٢)</sup>؛ لأنه يقف دائماً عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النص القرآني ولا يتجاوز ذلك غالباً<sup>(٣)</sup>.

لقد أدّت حالة التناثر ونزعة الاتجاه التجزيئي في النظر التفسيري إلى ظهور التناقضات المذهبية العديدة في الحياة الإسلامية؛ إذ كان يكفي أن يجد هذا المُفسِّر أو ذاك آية تبرز مذهبه لكي يعلن عنه ويجمع حوله الأنصار والأشياء، كما وقع في كثيرٍ من

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢١، ٢٢.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٢.

المسائل الكلامية كمسألة الجبر والتفويض والاختيار\* مثلاً، بينما كان بالإمكان تفادي كثير من هذه التناقضات لو أن المُفسر التجزيئي خطأ خطوة أخرى ولم يقتصر على هذا التجميع العددي<sup>(١)</sup>.

### سبب شيوع المنهج التجزيئي:

يرى السد الصدر (قدس) أن سبب شيوع هذا المنهج يعود للنزعة الروائية والحديثية للتفسير بقوله: "إن المفسر لم يكن في البداية إلا شعبة من شعب الحديث بصورةٍ أو بأخرى، وكان الحديث هو الأساس الوحيد تقريباً مضافاً إلى بعض المعلومات اللغوية والأدبية والتاريخية التي يعتمد عليها المُفسر طيلة فترة طويلة من الزمن"<sup>(٢)</sup>.

\* الجبر: إجبار الله تعالى عباده على ما يفعلون، خيراً كان أو شراً، حسناً كان أو قبيحاً، دون أن يكون للعبد إرادة واختيار الرفض والامتناع، والتفويض أن الله سبحانه فوّض أفعال العباد إليهم يفعلون ما يشاؤون، على وجه الاستقلال دون أن يكون لله تعالى سلطان على أفعالهم، والاختيار أن الله تعالى كلّف عباده بواسطة الأنبياء والرسل بعض الأفعال ونهاهم عن بعضٍ آخر وأمرهم بطاعته فيما أمر به ونهى عنه بعد أن منحهم الإرادة على الفعل والتكليف وجعل لهم الاختيار فيما يفعلون دون أن يجبر أحد على الفعل.

يُنظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني.

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢٢، ٢٣.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٤.

بمعنى أنه يعزو سبب ظهور التفسير التجزيئي وشيوعه ثم ظهور المنهج الموضوعي في أحضانه إلى التفسير بالمأثور.

أما السيد الحكيم فيرى أن سبب شيوع المنهج التجريبي يعود لأمرين هما<sup>(١)</sup>:

١. القدسية التي أحاطت النص القرآني الكريم، ويعتبره السيد الحكيم السبب الرئيس في شيوع هذا المنهج، وإن وضع القرآن الكريم ضمن ترتيب ونص معين يبدأ بفاتحة الكتاب ويختم بسورة الناس، واحترام المسلمين بهذا الترتيب أدى إلى التقييد به في قراءة القرآن الكريم وتفسيره وترتيبه، ويرى السيد الحكيم أن هذا المنهج هو الشائع حتى في النصوص التي تتصف بقدسية خاصة في ترتيبها (كنهج البلاغة والصحيفة السجادية).

٢. انتفاء الحاجة للبحث الموضوعي وتزايد الحاجة له في العصر الحاضر أكثر من غيره؛ وذلك لأن المسلمين كانوا قد عاشوا النظريات الإسلامية سابقاً على مستوى التطبيق المباشر، فما كانوا يشعرون بأهمية البحث الموضوعي خصوصاً في القضايا الاجتماعية، أما على مستوى العقائد والفقهاء فقد برزت أهمية التفسير الموضوعي لها منذ القرن الأول وذلك لبروز الحاجة إليه.

(١) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١٠٣.

**تعقيب:**

ويميل البحث إلى ما آل إليه السيد محمد باقر الصدر<sup>(١)</sup>، والحق معه، وهي ميزة لم ينفرد بها التفسير فحسب بل شاركه بها الفقه كذلك؛ لكون قول الرسول ﷺ أحد مصاديق السُّنة، وهو مصدر فهم القرآن الكريم فلا غرابة في الرجوع إليه لبيان ما أُشكِل من القرآن الكريم.

وما دام جوابه قولي وهو سُنَّة فسيكون تفسيره ضمن الحديث بدءاً مما لا كلام فيه ولكن اتساع مدارك التفسير فيما بعد الرسول ﷺ جعله مستقل علمًا برأسه ويرفده أيضًا الشاهد اللغوي أو التاريخي ونحوه.

وأما ما ذكره السيد محمد باقر الحكيم من أن هذا التفسير لهذه الظاهرة غير واضح<sup>(٢)</sup>، فلعله يُشير إلى عدم الحصر بالتركة الروائية والحق معه أيضًا، إلا أن مقتضى كلام السيد محمد باقر الصدر فيما يبدو حول الغالب والأساس في الاعتماد، ومما يؤيد هذا الفهم.

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢٤.

(٢) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١٠٣.

إن جيل الصحابة هم من أخذ عن الرسول ﷺ ولا واسطة بينهم وبينه ﷺ إلا - غالباً - صحابي كذلك، فلا تكون بحاجة مع وجوده (صلى الله عليه وسلم) بين ظهرانيهم إلى الرأي قبيل الأثر. وكونهم عرباً أفحاحاً فلا حاجة حينئذ لمعاجم اللغة، وكُتِب السيرة كذلك والحال أنهم حضروا أسباب النزول وعلى معرفة بها. فيما بعد عصره ﷺ بدأت اللغة تختلط والبُعد أكثر فنشأ ما يستوجب جعله علماً له حيثيات مختلفة.

### مرجحات المنهج التجزيئي:

قد يُقال أن التفسير التجزيئي لا يمتاز عن التفسير الموضوعي بشيءٍ في حين أن الثاني يمتاز على الأول بإمكان استكشاف النظرية القرآنية، ولكن هذا غير صحيح، فللمنهج التجزيئي ميزة خاصة به أيضاً جعلته المنهج المختار لأغلب المفسرين المُتقدمين والمتأخرين منهم، وهذه الميزة هي:

أن أهمية المنهج التجزيئي نابعة من منهج القرآن الكريم في التفسير والهدف الذي يحققه والذي يُمكن تلخيصه بما يأتي<sup>(١)</sup>:

١. معرفة الحال التي كان يعيشها المجتمع مع عصر النزول بشكلٍ دقيق.

(١) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١٠٧، ١٠٨.

٢. معرفة طريقة وأسلوب القرآن الكريم في معالجته لتلك الأحوال.  
 ٣. تطبيق الحالة المُشخَّصة وطريقة معالجتها على الواقع المُعاش في هذا العصر.

وبعبارةٍ أخرى إن التفسير الترتيبي ينظر بدقةٍ إلى كل آيةٍ في موضعها الذي نزلت من أجله، ويأخذ بنظر الاعتبار صلتها بحياة المجتمع الإسلامي وتطوره وتكامله، وتكشف هذه الصلة بدورها عن مسائل كثيرة.

وهذا ما يفترق به عن المنهج الموضوعي؛ بالرغم من أن الأخير يهتم أيضاً بالواقع الخارجي؛ إلا أن جوابه يكون جواباً تجريدياً، أي يُجرّد النص القرآني من خصوصياته<sup>(١)</sup>.

إذن فميزة المنهج التجزيئي تكمن في استجابته للهدف القرآني الرئيس (التغيّر الاجتماعي) والذي يطرح هذا الشكل المتداخل، ولذلك يُطلق عليه العلماء ومنهم السيد محمد باقر الحكيم على هذا المنهج اسم (المنهج التغييري).

(١) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١٠٨.



### سبب الاختيار:

لا تُعتبر تلك الميزة للمنهج التجزيئي هي الدافع الوحيد لترجيح السيد الحكيم لهذا المنهج، فهناك دوافع أخرى، أهمها<sup>(١)</sup>:

١. الحاجة المُلحة لهذا المنهج في الظروف المعاصرة.
٢. يُعتبر هذا المنهج أكثر انسجامًا مع طبيعة الحاجة العامة التي يعيشها الناس؛ لأنه لا يكتفي بطرح النظريات، وإنما يعمد إلى بيان المعالجة الميدانية لجميع الحالات.
٣. يُمكن عن طريق هذا المنهج التحرُّك والتعامل مع الناس في قضاياهم اليومية ومشاعرهم وأحاسيسهم وطموحاتهم الذاتية.
٤. فلهذه الأسباب وغيرها فضل العلماء هذا المنهج.

### المعالم العامة للمنهج المختار:

لقد حدد السيد محمد باقر الحكيم المعالم العامة للمنهج المختار هي باختصار<sup>(٢)</sup>:

١. الموضوعية: سواء المقصود بها تناول الموضوعات القرآنية المختلفة بالبحث أو الاهتمام (بالواقع الموضوعي) ومحاولة معالجة القضايا المعاشة عن طريق النظرية القرآنية المختلفة

(١) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١١٠-١١٤.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ١١٠-١١٤.

بالبحث، أو الاهتمام بالواقع الموضوعي ومحاولة معالجة القضايا المعاشة عن طريق النظرية القرآنية.

٢. روح القرآن الكريم العامة: والتي تُمثّل أصلاً في فهم القرآن الكريم والتفاصيل الموجودة فيه، وقرينة على فهم هذا النص أو ذلك في القرآن الكريم.

٣. الاهتمام بتفسير الظهور المُعقّد للقرآن الكريم عن طريق المقارنة بين الآيات القرآنية والرجوع إلى روح القرآن الكريم العامة المستنبطة منه والآيات الأخرى التي تعالج الموضوع نفسه.

٤. الانتباه إلى وجود مستويين للتفسير في القرآن الكريم هما:

أ- تفسير اللفظ: هو بيان مفهومه اللغوي العام.

ب- تفسير المعنى: وهو بيان المصايد والمفردات المشخصة المقصودة من اللفظ.

ويجب الفصل والتمييز بينهما، لأن خلطهما يؤدي إلى ظهور مشاكل كثيرة.

مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> وردت الروايات عن المعصومين (عليهم السلام) بأن أهل الذكر هم أهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: " والذكر

محمد ﷺ ونحن أهله المسؤولون ...<sup>(١)</sup>، فمن المُفسِّرين مَنْ جعل مصداق الآية الأوحدهم أهل البيت ﷺ في حين أن معنى اللفظ هو: (أهل الخبرة بالدين والكتب والرسالات).

نعم أهل البيت هم المصداق الأبرز لهذا المفهوم ولكنه ليس الأوحدهم من باب الجري والتطبيق عليهم (عليهم السلام) لا من باب اختصاصهم به دون غيرهم.

٤. إبراز طريقة القرآن الكريم في معالجة القضايا المختلفة عن طريق النص القرآني والمقطع مع تطبيقها على حالات مشابهة لها في هذا العصر.

٥. الخلفية العقائدية الصحيحة للمفسّر، وشرط استنباطها من القرآن الكريم والتي تُشكّل الإطار العام لفهمه، إذ لا بد أن تفهم القرآن الكريم كوحي إلهي هدفه التغيير الاجتماعي الجذري.



## المبحث الرابع

### أوجه الفرق بين الاتجاهين التجزيئي والموضوعي

لماذا كانت الطريقة التجزيئية عاملاً في إعاقة النمو؟ ولماذا تكون الطريقة الموضوعية والاتجاه التجزيئي عاملاً في النمو والإبداع وتوسيع نطاق حركة الاجتهاد؟.

للإجابة على ما ورد يجب أن نُكوّن انطباعات أوضح وأكثر تحديداً عن هذين الاتجاهين: عن الاتجاه التجزيئي والاتجاه التجزيئي وإنما يتضح ذلك بعد أن نشرح بعض أوجه الاختلاف بين الاتجاهين.

ويُمكن توضيح ذلك من خلال الاختلاف بين هذين الاتجاهين التفسيريين في الجانبين، السلبي والإيجابي وكما يلي<sup>(١)</sup>:

• السلبية في الاتجاه التجزيئي والإيجابية في الاتجاه الموضوعي:

إن المفسر التجزيئي دوره في التفسير على الأغلب سلبي، فهو يبدأ بتناول النص القرآني المُحدّد آية مثلاً أو مقطعاً قرآنياً دون أي

---

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٢٩-٣٢.

افتراضاتٍ أو طروحات مُسبقة، ويحاول أن يحدد المدلول القرآني على ضوء ما يسعفه به اللفظ مع ما يُتاح له من القرائن المتصلة والمنفصلة العملية في طابعها العام عملية تفسير نص معيّن وكأن دور النص فيها دور المتحدث ودور المفسر هو الإصغاء والتفهُّم، وهذا ما نُسّميه بالدور السلبي، المفسر هنا شغله أن يستمع لكن بذهن مُضيء بفكرٍ صافٍ، يروح محيطه بآداب اللغة وأساليبها في التفسير، يُمثّل هذه الروح بمثل هذه الذهنية، وبمثل هذا الفكر يجلس بين يدي القرآن الكريم ليستمع، فهو ذو دور إيجابي، والقرآن الكريم يعطي حيثنّذٍ وبقدر ما يفهم هذا المفسر من مدلول اللفظ يسجل في تفسيره.

وخلافًا لذلك المفسر التوحيدي والموضوعي فإنه لا يبدأ عمله من النص بل من واقع الحياة، يُرَكِّز نظره على موضوع الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنساني من حلولٍ، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ ثم يأخذ النص القرآني، لا يتخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع والمسجل فحسب بل لي طرح بين يدي النص القرآني حوارًا سؤالاً وجواباً، المفسر يسأل والقرآن يُجيب، المفسر على ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها عن طريق التجارب البشرية الناقصة، عن طريق أعمال الخطأ والصواب التي مارسها المفكِّرون

على الأرض، لا بد أن يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع، ثم يفصل عن هذه الحصيلة ليأتي ويجلس بين يدي القرآن الكريم لا يجلس ساكنًا ليستمع فقط بل يجلس محاورًا، يجلس سائلًا ومستفهمًا ومتدبرًا فيبدأ مع النص القرآني حوارًا حول هذا الموضوع، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص عن طريق مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات.

ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائمًا بتيار التجربة البشرية؛ لأنها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة.

ومن هنا أيضًا كانت عملية التفسير الموضوعي عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليس مجرد استجابة سلبية، بل استجابة فعّالة وتوظيفًا هادفًا للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى.

قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن القرآن الكريم " ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم" (١).

التعبير بالاستنطاق الذي جاء في كلام الإمام علي عليه السلام أروع تفسير عن عملية التفسير الموضوعي بوصفها حوارًا مع القرآن الكريم وطرحًا للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها.

إذن فأول أوجه الاختلاف الرئيسة بين الاتجاه التجزيئي في التفسير والاتجاه الموضوعي فيه، أن الاتجاه التجزيئي يكون دور المفسر فيه دورًا سلبيًا: يستمع ويسجل، بينما التفسير الموضوعي ليس هذا معناه وليس هذا كنهه، وإنما وظيفته دائمًا وفي كل مرحلة وفي كل عصر أن يحمل كل تراث البشرية الذي عاشته، ويحمل أفكار عصره بحمل المقولات التي تعلمها في تجربته البشرية ثم يضعها بين يدي القرآن الكريم، بين يدي الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ليحكم على هذه الحصيلة لما يكون لهذا المفسر أن يفهمه، أن يستشفه، أن يتبينه عن طريق مجموعة آياته الشريفة.

إذن فهنا يلتحم القرآن الكريم مع الواقع، يلتحم الكتاب المبارك مع الحياة، التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن الكريم،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٨.



لكن التفسير التجزيئي يبدأ من القرآن الكريم وينتهي بالقرآن الكريم، فتكون عملية منعزلة عن الواقع، منفصلة عن تراث التجربة البشرية، بل هذه العملية عملية تبدأ من الواقع، وتنتهي بالقرآن الكريم بوصفه المصدر الذي يحدد على ضوءه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك الواقع.

ومن هنا تبقى للقرآن الكريم حيثئذ قدرته على القيمومة دائماً، قدرته على العطاء المستجد دائماً، قدرته على الإبداع دائماً؛ لأن المسألة هنا مسألة تفسير لفظ، وطاقات التفسير اللغوي ليست طاقات لا متناهية، بينما القرآن الكريم دلّت الروايات على أن لا ينفذ وصرّح الكتاب المبارك بأن كلماته لا تنفذ.

القرآن الكريم عطاؤه لا ينفذ بينما التفسير اللغوي ينفذ، لأن اللغة لها طاقات محدودة، وليس هناك تجدد في المدلول اللغوي ولو وُجد تجدد في المدلول اللغوي فلا نعى لتحكيمه على القرآن الكريم عن طريق لغة جديدة أو مصطلحات جديدة أو ألفاظ تحمل مدلولات وضعية استحدثت بعد القرآن الكريم.

إذن هذا العطاء الذي لا ينفذ للقرآن الكريم، هذه المعاني التي لا تنتهي له التي نصّر عليها القرآن الكريم نفسه ونصّت عليها أحاديث أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هذه الحالة من عدم النفاذ، تكمن في هذا المنهج من منهج التفسير الموضوعي؛ لأننا نستنتق

القرآن الكريم وأن في الأخير علم ما كان وعلم ما يأتي؛ لأن فيه دواء دوائنا ونظم ما بيننا، وفيه ما يمكن أن نستشوق منه مواقف السماء تجاه تجربة الأرض.

فمن هنا كان التفسير الموضوعي قادرًا على أن يتطور، على أن ينمو، على أن يُثري؛ لأن التجربة البشرية ثرية من ناحية، ثم الدرس القرآني والتأمل القرآني على ضوء التجربة البشرية يجعل هذا الشراء محولاً إلى فهم إسلامي قرآني صحيح.

### الاتجاه الموضوعي في الأبحاث الفقهية<sup>(١)</sup>:

الأبحاث الفقهية سارت في الاتجاه الموضوعي بينما الأبحاث التفسيرية سارت في الاتجاه التجزيئي ولم يكن المقصود بذلك أن البحث الفقهي استنفد طاقة الاتجاه الموضوعي، فالبحث الفقهي اليوم مدعو إلى أن يستنفد طاقة هذا الاتجاه الموضوعي أفقيًا وعموديًا، ولا بد أن يستنفد طاقة هذا الاتجاه.

أما أفقيًا فلا بد وأن يستنفد طاقة الاتجاه الموضوعي باعتبار أنه عبارة عن أن يبدأ الإنسان من الواقع وينتهي إلى الشريعة، وهذا ما كان عليه نظام العلماء والفقهاء حيث يبدأون بالواقع، وقائع الحياة كانت تنعكس عليهم على شكل: جعالة ومضارعة، ومزارعة، ومساقات، ورهن، ونكاح، كانت هذه الحوادث وهذه الوقائع

(١) يُنظر: المدرسة القرآنية: ٣٦-٣٨.

تنعكس عليهم ثم يأخذون هذا الواقع ويأتون إلى مصادر الشريعة لكي يستنبطوا الحكم منها، هذا اتجاه موضوعي؛ لأنه يبدأ بالواقع وينتهي إلى الشريعة في مقام التعرّف على حكم هذا الواقع.

لكن هنا لا بد من أن يمتدّ الفقه أفقياً أمثر على هذه الساحة؛ لأن العلماء الذين ساهموا في تكوين هذا الاتجاه الموضوعي عبر قرونٍ عدة كانوا حريصين على أن يأخذوا هذه الوقائع ويحولوها دائماً إلى الشريعة لكي يستنبطوا أحكام الشريعة المرتبطة بتلك الوقائع، ولكن وقائع الحياة تتجدد، فتتكاثر باستمرارٍ، وتتولد ميادين جديدة من وقائع الحياة، فلا بد لهذه العملية من أن تنمو باستمرارٍ، وحتى تحول كل ما يستجد من وقائع الحياة وأن تبدأ من الواقع، لكن الواقع الساكن المحدود الذي كان يعيشه الشيخ: الطوسي أو غيره من العلماء، ذاك الواقع كان يفي بحاجات عصر الشيخ: الطوسي، وكان يفي بحاجات عصر المحقق، لكن كم من بابٍ وبابٍ من أبواب الحياة فتحت بالتدريج، ولا بد من عرض هذه الأبواب على الشريعة، إذا أردنا أن يستمر الاتجاه الموضوعي في البحث الفقهي فلا بد وأن نمده أفقياً على مستوى ما استجد من أبواب الحياة، وكم من بابٍ من أبواب الحياة استجد ولم يكن معروفاً سابقاً، كالتجارة والمضاربة، والمزارعة... وغيرها كثير، كانت تُمثل السوق قبل ألف سنة أو قبل ثمانمائة سنة، ولكن اليوم السوق والمعاملات والعلاقات

الاقتصادية، أوسع من هذا النطاق، إذن لابد للفقهاء من أن يكون كما كان على يد هؤلاء العلماء الذين كانوا حريصين على أن يعكسوا كل ما يستجد من وقائع الحياة على الشريعة ليأخذوا حكمها فيه ولا بد أيضًا من أن هذه العملية تسير أفقيًا كما سارت أفقيًا في البداية، هذا من الناحية الأفقية.

وأما من الناحية العمودية أيضًا فلا بد من أن يتوغل هذا الاتجاه الموضوعي في الفقه وأن ينفذ عموديًا وأن يصل إلى النظريات الأساسية وأن لا يكتفي بالبناءات العلوية بالتشريعات التفصيلية لابد وأن ينفذ عن طريق هذه التشريعات التفصيلية عن طريق هذه البناءات العلوية إلى النظريات الأساسية التي تُمثل وجهة نظر الإسلام؛ لأننا نعلم أن كل مجموعة من التشريعات في كل بابٍ من أبواب الحياة ترتبط بنظريات أساسية، ترتبط بتصورات رئيسة، أحكام الإسلام، تشريعات الإسلام، في مجال الحياة الاقتصادية ترتبط بتصورات رئيسة، أحكام الإسلام، تشريعات الإسلام، في مجال الحياة الاقتصادية ترتبط بنظرية الإسلام، بالمذهب الاقتصادي في الإسلام، أحكام الإسلام في مجال النكاح والطلاق والزواج وعلاقات المرأة مع الرجل، ترتبط بنظرياته الأساسية عن المرأة والرجل، ودور كل منهما، هذه النظريات الأساسية التي تُشكّل القواعد النظرية لهذه الأبنية العلوية، وإذا كان لابد من التوغل إليها فلا ينبغي أن ينظر إلى

ذلك بوصفه عملاً منفصلاً عن الفقه أو بوصفه ترفاً، بل بوصفه نوع  
تفنن أو بوصفه نوع أدب، ليس كذلك بل هذا ضرورة من ضرورات  
الفقه. ولا بد من النقاء التوغل عمودياً أيضاً إلى تلك النظريات  
ومحاولة اكتشافها بقدر الطاقة البشرية.



# المبحث الخامس

## التفسير الموضوعي في كلمات العلماء السابقين

لم يكن التفسير الموضوعي متداولاً إلا في فتراتٍ محددةٍ وتناول موضوعات خاصة؛ إلا أنه ورد كثيراً على ألسنة العلماء السابقين، ولكن يجب الاعتراف بأننا لا نعرف أحداً منهم تناول التفسير الموضوعي في جميع المجالات<sup>(١)</sup>.

ومن الرواد الأوائل في هذا المضمار العلامة المجلسي حيث نراه قد تصدى لجمع كل الآيات ذات العلاقة بالموضوع عند دخوله في كل فصل من فصول بحار الأنوار ثم يلقي عليها نظرة شاملة وينقل أحياناً أداء المفسرين، ويسعى لتوضيح ما يذكره من الآيات<sup>(٢)</sup>.

فنرى مثلاً في الجزء (٦٧) عندما يتكلم حول (القلب) و(السمع) و(البصر) ومعنى كل منهما في القرآن الكريم، يجمع

---

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤.

عشرات الآيات ثم يذكر رواية من الكافي ثم يقوم بذكر بيان جامع لها، فيستغرق بحثه في هذا المجال عشر صفحات تقريباً<sup>(١)</sup>.

وفي الجزء (٥٨) في باب الحقيقة (حقيقة الرؤيا) وتعبيرها يذكر أولاً أكثر من عشر آيات من القرآن الكريم حول هذا الموضوع ثم يبحث في تفسيرها بعدة صفحات<sup>(٢)</sup>.

وفي الجزء (٢٢) من الباب الأول يبحث عن ما جرى لليهود والنصارى والمشركين بعد الهجرة، فيذكر عشرات الآيات من مختلف السور حول هذا الموضوع ثم يقوم بتفسيرها<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى للتفسير الموضوعي في كلمات المتقدمين، الكتب المؤلفة للآيات التي لها ارتباط بأجزاء وشروط الصلاة وأقسام وشروط الصوم، والحج، والنكاح، والطلاق، وأحكام الحدود، والديات، والقضاء، وغيرها، حيث جمعت الآيات ثم بحثها على نحو موضوعي بالاستعانة بنصفها الآخر<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن أول كتاب ألف في هذا المجال كتاب (أحكام القرآن) (لمحمد بن صاحب الكلبي) وهو من أصحاب الإمام الباقر

(١) ينظر: بحار الأنوار، ج ٦٧: ٢٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج ٥٨: ١٥١ وما بعدها.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ج ٢٢: ١ وما بعدها.

(٤) ينظر: نفحات القرآن: ١٤.



والإمام الصادق عليه السلام المتوفى سنة (١٤٦هـ) فهو سابق حتى للشافعي الإمام المعروف المتوفى سنة (٢٠٤هـ) والذي أَلَّف كتابه في هذا المجال<sup>(١)</sup>.

وبعد تصدى العديد من الفقهاء والعلماء لتأليف الكتب في مجال آيات الأحكام (تارة بهذا الاسم وتارة بأسماء أخرى)، وقد ذكر المرحوم الطهراني في كتاب (الذريعة) ثلاثين كتاباً من هذه السلسلة<sup>(٢)</sup>، وأشهرها بين العلماء والفقهاء المعاصرين كتاب آيات الأحكام للمحقق الأردبيلي المسمى (زبدة البيان) وآيات الأحكام للمقداد المسمى (كنز العرفان)<sup>(٣)</sup>.

وجاء في الكتاب الأخير أن من المشهور بين العلماء أنه توجد خمسمائة آية في القرآن الكريم حول الأحكام الفقهية إذا أخذنا في الحسبان الآيات المتكررة في هذا المجال وإلا فالعدد أقل من ذلك<sup>(٤)</sup>.

وقد كتب في هذا المجال كتاب (إعجاز القرآن في العلوم المعاصرة) وفيه الآيات ذات العلاقة بالاكشافات العلمية المعاصرة

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١٥.

(٢) ينظر: الذريعة في تصانيف الشيعة، أغا يركز الفهراني: ١، ٤٠، ٤١.

(٣) ينظر: نفحات القرآن: ١٥.

(٤) ينظر: كنز العرفان في فقه الإسلام، المقداد بن عبد الله: ١

والتي تعد من المعجزات العلمية للقرآن الكريم، وكتاب التأليف في حقل التفسير الموضوعي كما ألفت كتب حول قصص القرآن الكريم تمَّ فيها توضيح الوقائع الواردة في قصص الأنبياء بواسطة جمع آيات القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

ولكن مع هذا يجب الإذعان بأن كل هذه المحاولات ناظرة للتفسير الموضوعي في مجال معين وزاوية محددة، وهي ليست بصدد تفسير جامع وشامل لكل موضوعات القرآن الكريم، وفي المدة الأخيرة بذلت محاولات وجهود لتفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً واسعاً، وهذه الجهود تستحق كل تقدير<sup>(٢)</sup>.

لكن مع كل ما ورد من مساعي للعلماء في هذا المجال وما زال التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في مرحلة البدائية ويحتاج إلى زمن مالي يكون له المكانة المناسبة بين أنواع المناهج أو التفاسير، وهذا لا يتم إلا ببذل جهود ومساعي للعلماء والمفسرين وبالاستفادة من جهود السابقين والنهوض بها إلى الدرجة المطلوبة، وهي إيجاد تفسير موضوعي لكل الموضوعات القرآنية وحسب الطاقة البشرية في زماننا هذا

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٥.

# المبحث السادس

## مراحل ظهور المنهج الموضوعي في التفسير

المنهج الموضوعي في التفسير سيمر بثلاث مراحل هي على التوالي:

### مرحلة البدايات:

بزوغ الأسلوب الموضوعي في التفسير مرّ - في بدايته - بخطوات متتالية تبدأ من القرآن الكريم نفسه ودعوته لإرجاع المتشابه إلى المحكم، ودعوته لتفعيل الجمع الموضوعي بين الآيات، وقيامه بالعرض الموضوعي الفعلي لبعض الموضوعات، ثم بما قام به المعصومون عليهم السلام من استلهاهم فكري من القرآن الكريم واستفادات موضوعية من القرآن الكريم ثم بجهود العلماء في علوم القرآن الكريم والاستفادة منه:

### ١- القرآن الكريم ودعوته إلى إرجاع المتشابه إلى المحكم<sup>(١)</sup>:

من بين ما يحويه الذكر الحكيم آيات محكمات وآيات متشابهات قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

(١) ينظر: نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي: ١: ٣٠-٣٥.

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾. وتدعو آياته لعدم الخوض في المتشابه، ورده إلى المحكم لتتضح دلالاته ومعناه، فهو دعوة للمتلقي لتفعيل ذهنه وإعمال عقله عبر القيام بـ(الجمع الموضوعي) بين الآيات لاستخراج الفكرة.

أي إن المتلقي عليه أن يأخذ تلك الآيات المتشابهة التي تمثل أولادًا وأبناء، ويعيدها إلى حاضنة الأم التي هي الآيات المحكمة ثم يستخرج الرؤية المفسرة للآيات المتشابهة وفقًا لما تفيده وترشده إليه الآيات المحكمة.

## ٢- القرآن الكريم وتفعيل الجمع الموضوعي<sup>(٢)</sup>:

ودعا القرآن الكريم في بعض آياته إلى تفعيل الجمع الموضوعي، وقيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين بالجمع بين الآيات لاستخراج الرؤية والبصيرة، فكانت تأتي آيات تُحيل على آيات أخرى، ومن ثمَّ فهمها يحتاج إلى الرجوع لتلك الآيات الأخرى.

(١) آل عمران: ٧

(٢) ينظر: المدرسة القرآنية: ٣٩، ٤٠.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١).

وهذه الآية الشريفة تحمل عبارة ﴿إِلَّا مَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ﴾ وهي إحالة على ما تلي عليهم من قبل من آيات كريمة حملت أحكام بهيمة الأنعام منها: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)، وقوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

(١) المائدة: ١

(٢) الأنعام: ١٤٥

(٣) البقرة: ١٧٢، ١٧٣

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مُحْمَصَةٍ غَيْرِ  
مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

### ٣- القرآن والقيام بالعرض الموضوعي<sup>(١)</sup>:

قلنا أن الطريقة التي يتبعها القرآن الكريم في عرض موضوعاته هي ذكرها منجمة مفرقة في المواضع حسب ما يقتضيه عرض الهداية والتربية لا حسب ما يقتضيه العرض المعرفي في وضع الموضوع كاملاً في مكان واحد وفصل واحد، لكن هذا لا يعني أن القرآن الكريم لا توجد فيه مواضع مكثفة ذُكرَ فيها أقسام الموضوع كاملة في مورد واحد، فهو - أحياناً - يضع أمام المتلقي (قارئ: سامع) الموضوع وأقسامه؛ يبصرها متأخية في مكان واحد.

وإذا كانت الخطوتان السابقتان تحتجان من المتلقي القيام بفعل حتى يصل إلى الموضوع، فيجمع بين المتشابه والمحكم، ويُفَعِّل ذهنه بالجمع الموضوع بين الآيات، والانطلاق من الآيات المباركة إلى المحال عليها؛ لإكمال الصورة، إذا كان هذا في الخطوتين السابقتين، فإن هذه الخطوة الثالثة تُعطي المتلقي الموضوع جاهزاً مجموعاً في مكان واحد.

(١) المائدة: ٣

(٢) ينظر: نفحات القرآن: ١: ٣٥-٣٠.

ومن أمثلة العرض الموضوعي في القرآن الكريم: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَئِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهي توضح أن الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، السابقون.

#### ٤- أهل البيت عليهم السلام والاستلهام من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>:

ثم جاءت -مبكراً- وفي زمن الرسول الأكرم عليه السلام وأهل بيته الأطهار عليهم السلام كثير من الاستلهمات المستفادة من القرآن الكريم والتي تُذكر ثم تُذيلُ بآيات قرآنية هي المَعِين الذي استخرجت منه تلك الاستفادات، وهذا يعني أننا نقصد بـ(الاستلهمات) من القرآن الكريم استفادة الفكرة من القرآن الكريم والاستشهاد عليها من آياته الكريمة وليس بالضرورة أن تكون تلك الفكرة أو جمع الأفكار منخرطة في عنوان واحد وموضوع واحد، فقد تكون نصائح أخلاقية عامة.

(١) الواقعة: ١، ٧-١٤

(٢) ينظر كل من: نفحات القرآن: ١: ٣٠-٣٥، اتجاهات التفسير في القرآن الرابع

عشر، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ٣: ٨٦٢.

ففي وصية الرسول الأكرم ﷺ لعبد الله بن مسعود والتي دونها كتاب (بحار الأنوار) في تسعة عشر صفحة يستخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة من المواعظ تلو الأخرى ثم يرفدها بالآيات الشاهدة عليها، ومما ورد فيها: "يا ابن مسعود لا تتكلم إلا بالعلم بشيء سمعته ورأيت، إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ - وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿سُكَّتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويقول ﷺ في موضع آخر من الوصية: "يا ابن مسعود لا تحملنك الشفقة على أهلك وولدك على الدخول في المعاصي والحرام، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا مَنْ أْتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وعليك بذكر الله والعمل الصالح؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾<sup>(٦)</sup> (٧).

(١)الإسراء: ٣٦

(٢)الزخرف: ١٩

(٣)ق: ١٧، ١٨

(٤)ق: ١٦

(٥)الشعراء: ٨٨، ٨٩

(٦)الكهف: ٤٦

(٧) المصدر نفسه: ٧٤: ١٠٨.



وكما فعل رسول الله ﷺ في وصيته لابن مسعود حين راح يستلهم من القرآن الكريم ويستدل منه ويبيِّن ما فيه نظام الحياة السعيدة في الدارين بكل معنى السعادة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وليس كذلك فقط بل حتى ما اختلفوا فيه أنزله إلى رسوله ليتضح لهم الهدى من الضلال وأنه رحمة لمن اهتدى قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، كذلك مضى الإمام الكاظم عليه السلام على نهج جده في وصيته لهشام بن الحكم، ومنها: " يا هشام، ثم ذكر (الله) أولي الأبواب بأحسن الذكر، وحلَّاهم فأحسن الحلية، فقال: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ

(١) النحل: ٤٤

(٢) النحل: ٦٤

(٣) البقرة: ٦٩

(٤) آل عمران: ٧

(٥) آل عمران: ١٩٠

أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾، وقال: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٤﴾، وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾﴾ (٦).

من هذه الوصية يتبين لنا آثار العلاقة بين أولي الألباب وذكر الله تعالى إذ أنتج هذا الذكر عند هؤلاء الذاكرون: الحكمة، والإيمان بما أنزل الله حتى رسخوا في العلم: والتفكير في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وما ينتج عن هذا التفكير من الإيمان والتسليم بقدرة وحكمة الخالق ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٧﴾.

(١) الرعد: ١٩

(٢) الزمر: ٩

(٣) ص: ٢٩

(٤) غافر: ٥٣

(٥) الذاريات: ٥٥

(٦) الكافي: ١: ٥٩.

(٧) آل عمران: ١٩١

وكذلك نتج عن الذكر فرقان عند أولي الألباب بين الحق والمعنى وبين الذين يعلمون (أهل العلم) وبين غيرهم من أهل الجهل، وكذلك تدبر الكتاب السماوي وما فيه من حياة لأولي الألباب.

#### ٥. أهل البيت عليهم السلام والاستفادة الموضوعية من القرآن الكريم:

إذا كنا في الخطوة السابقة نرى استفادة رؤى وأفكار من الآيات والاستشهاد عليها من القرآن الكريم، فهنا سيتطور الوضع إلى استفادة موضوع متماسك يندرج في عنوان واحد ثم الاستشهاد عليه من آيات الذكر الحكيم<sup>(١)</sup>.

فإلى جانب الجهود العظيمة عند أهل البيت عليهم السلام في الاستلham من القرآن الكريم، نجدهم يقومون بـ(الجمع الموضوعي) بين الآيات؛ لاستخراج موضوعات قرآنية، فها هو رسول الله صلى الله عليه وآله يوضح أن هناك أمورًا استأثر الله تعالى بالعلم بها لنفسه فلا يعلمها غيره فيقول: (مفاتيح الغيب خمسة<sup>(٢)</sup>)، ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>(١).

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٤٠.

(٢) صحيح البخاري: ٣م، ج ٦: ١٤٤.

(٣) لقمان: ٣٤

وفي مورد آخر ينقل لنا عبد الله بن مسعود أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ: قلنا: يا رسول الله: أيُّنا لا يظلم نفسه؟! قال: ليس كما تقولون: ((لم يلبسوا إيمانهم بظلم))،: بشركٍ أو لم توعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> (٤).

وسار على خطى رسول الله ﷺ تلميذه البار أمير المؤمنين عليه السلام فراح يستخرج الموضوعات من القرآن الكريم، ويربط بين الآيات، وفي إحدى رواياته الشائعة مضى عليه السلام يعرض موضوعاً مفصلاً حول أقسام الكفر في القرآن الكريم مذيلاً كل قسم بالآيات التي اشتق منها، يقول عليه السلام:

" وأما الكفر المذكور في كتاب الله تعالى خمسة وجوه، منها كفر الجحود وينقسم على وجهين، ومنها كفر فقط، ومنها كفر الترك بما أمر الله تعالى به، ومنها كفر البراءة، ومنها كفر النعم"<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني:

(٢) الأنعام: ٨٢

(٣) لقمان: ١٣

(٤) صحيح البخاري، م ٣، ج ١: ١٧٢.

(٥) بحار الأنوار: ٦٩: ١٠٠، وينظر: نفحات القرآن: ١٢.

ثم يُفَصِّل أمير المؤمنين عليه السلام الوجوه الخمس:

الأول: كفر الجحود<sup>(١)</sup>، وهو على وجهين:

أ- جحود الوجدانية: قال تعالى: ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ب- جحود المعرفة: أي جحود الشيء بعد معرفته، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

الثاني: الكفر<sup>(٦)</sup>.

(١) الجحود في معاجم اللغة: الجحدُ والجحود نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة، بعده يجحده جحدًا وجحودًا، قال الجوهري: الجحود الإنكار مع العلم جحده حقه، وهو قلة الخير.

(٢) الجاثية: ٢٤

(٣) البقرة: ٦

(٤) النمل: ١٤

(٥) البقرة: ٨٩

(٦) هذا الوجه سقط من بحار الأنوار، وقال فيه السيد: عبد الأعلى السيزاوري: مادة الكفر تدل على الستر، وكفر الشيء إذا غطاه، ويقال للفلاح كافر لأنه يكفر البذر، أي يسره ومنه كفر النعمة والإحسان إذا غطاها بترك الحمد والشكر

### الثالث: كفر الترك:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله تعالى: ﴿أَفْتُوْمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الرابع: كفر البراءة، قال تعالى على ما حكاه عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> فقد تبرأ إبراهيم منهم ما داموا كفارًا، وقال في قصة إبليس: ﴿بِمُصْرِحِي إِيَّيْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٤)</sup> فقد تبرأ منهم إبليس، وسُمي ذلك كفرًا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَبَلَغُنَّ بَعْضُكُمْ

عليها أو جحدها، ومنه سُمي الكافر أيضًا؛ لأنه كفر بالصانع والمبدأ، وكفر عنه الذنوب إذا ستره ومحاه عن العبد. ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن،

السيد عبد الأعلى السبزواري ١: ٨٤-٨٦.

(١) البقرة: ٨٤

(٢) البقرة: ٨٥٠

(٣) الممتحنة: ٤

(٤) إبراهيم: ٢٢

بَعْضًا<sup>(١)</sup>، فهام الذين في النار يتبرؤون من بعضهم البعض،  
ويكفرون بعضهم البعض!!  
الخامس: كفر النعم:

قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي  
أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ  
كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ  
وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾<sup>(٤)</sup> وبعد أن انتهى الإمام عليه السلام من أقسام  
الكفر راح يبين وجوه الشرك في الكتاب العزيز فيقسمها إلى الشرك في  
العقيدة والشرك في العمل والشرك في الطاعة وشرك الرياء<sup>(٥)</sup>.

وهذا التبيان الوافي لأنواع الكفر في القرآن الكريم، وكون  
بعضها -ككفران النعم- ليس كفرًا عقديًا مما تحتاج الأمة الإسلامية  
إلى التعرف عليه لاسيما في عصرنا الحاضر، حتى تقف في وجه تلك  
الفتاوى التكفيرية التي لا تكاد تبصر آية قرآنية وصفت البعض بأنه  
كافر، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

(١) العنكبوت: ٢٥

(٢) النمل: ٤٠

(٣) إبراهيم: ٧

(٤) البقرة: ١٥٢

(٥) ينظر: بحار الأنوار، ١٩: ١٠٠-١٠٣.

(١) حتى تحكم بكفره العقدي، واستحلال دمه وعرضه وماله، وجواز قتله وقتل نسائه وأطفاله!! دون أن نعرف أنواع الكفر والفرق بينها أو أن الآية تتكلم عن الكفر العقدي أو غيره، فالإمام عليه السلام بتقسيمه لآيات الكفر والشرك يلقي نظرة كلية على هذا الموضوع، ويوضح بأن لهذين المصطلحين مفهومًا واسعًا وشاملاً، فالكفر يشمل كل إخفاء للحق سواء كان في العقيدة أو في العمل أو في المواهب الإلهية والشرك يعني أن تجعل لله شريكًا أو ندًا سواء كان في العقيدة أو في العمل أو في طاعة القوانين الإلهية، لذا يتضح جيدًا بهذا العرض الجميل للتفسير الموضوعي فيما سبق لكلمات الإمام عليه السلام الدور الكبير لهذا التفسير في سعة ذهنية الإنسان والفهم العميق للآيات القرآنية<sup>(٢)</sup>.

والأنموذج البديع الآخر ما ورد في كلام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مع هشام بن الحكم، فالإمام عليه السلام وفي مقام بيان منزلة العقل يذكر الآيات المترابطة بـ «أولى الأبواب» ويجمعها كلها في هذا الموضوع ويقول لهشام: "انظر كيف أن الله سبحانه وصف أولي الأبواب على أحسن وجه وزينهم بأفضل لباس" ثم يذكر آيات من القرآن الكريم تتكلم عن منزلة أولي الأبواب (وهم أهل العقول

(١) المائدة: ٤٤

(٢) ينظر: نفحات القرآن: ١٣.



المستقيمة، والفطرة السليمة وهم الذين ينتفعون بالوحي، ويفهمون معاني ما أنزل الله على مراد الله تعالى ومراد رسوله الكريم ﷺ ويعملون بكلام الله تعالى رجاء ثوابه وخوفاً من عقابه .. يتفكرون في خلق الله تعالى). ومن هذه الآيات: (البقرة: ٢٦٩، آل عمران: ٩٠٧، المؤمنون: ٥٤٠<sup>(١)</sup>).

فالقيام بجمع الآيات حول موضوع ما والنظر فيها مجتمعة بعضها مع بعض يعطي الباحث رؤية عميقة يستطيع عن طريقها فهم معنى الفكرة المبتغاة ومقام أصحاب الفكرة ومنزلة من يتبعهم .. الخ، وهذا الأمر لا يمكن أن يتم إلا عن طريق التفسير الموضوعي.

وإذا كان أمير المؤمنين ﷺ فيما ورد ببيان أقسام الكفر نجد في رواية أخرى الإمام الصادق ﷺ يبين (أصول الكفر) فيقول: "أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد، فأما الحرص فإن آدم عليه السلام حين نُهي عن الشجرة حمله الحرص على الأكل منها، وأما الاستكبار فإبليس حين أمر بالسجود لآدم استكبر وأما الحسد فابن آدم حين قتل أحدهما صاحبه حسداً"<sup>(٢)</sup>.

وما رأيناه قبل قليل من بيان أمير المؤمنين ﷺ وحفيده الإمام الصادق ﷺ هو تحريك لما نُسّميه (الجمع الموضوعي)، فسنرى

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٩ : ١٢١.

فقرة لاحقة أن الإمام العسكري عليه السلام يجري (الجمع التفسيري) لبيان معنى (الذين أنعمت عليهم) وأن الإمام الباقر عليه السلام يقوم بـ(الجمع الترتيبي) بين الآيات ليستخرج عدة المتوفى عنها زوجها، كما سنشاهد كيف يستثمر الإمام علي عليه السلام (الجمع الاستنباطي) ليستخرج أقل مدة للحمل، وكيف يستعمل الإمام الكاظم عليه السلام الجمع الاستنباطي لاستخراج حكم الخمر.

ونصل مما مضى إلى أن أهل البيت عليهم السلام لم يقفوا عند حد الاستلهام الفكري من القرآن الكريم بل مارسوا أنواعاً عدة من الجمع بين الآيات؛ للوصول إلى رؤية أو حكم أو موضوع، ومن أبرز أنواع الجمع تلك:

أ- الجمع التفسيري، ب- الجمع الترتيبي، ج- الجمع الاستنباطي، د- الجمع الموضوعي<sup>(١)</sup>.

## ٦. العلماء وعلوم القرآن:

وتأتي خطوة أخرى في مسار العناية بالقرآن الكريم، باهتمام العلماء بما عُرفَ باسم (علوم القرآن<sup>(٢)</sup>)، نعني بها: " العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث معرفة أسباب النزول وجمع القرآن الكريم وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني،

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١٤.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ١٥، ١٦.

والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن الكريم، وقد يُسمَّى هذا العلم بـ(أصول التفسير)؛ لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها والاستفادة منها في تفسير القرآن" (١).

فقد ألق العلماء في المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، والمنطوق والمفهوم، وإعجاز القرآن وأمثاله، وأقسامه وجدله، وقصصه ومكيه ومدنيه ونزوله، وأسباب نزول آياته، والقراءات السبع، والأشباه والنظائر... كما بحثوا آيات الأحكام والاستفادة الفقهية من القرآن الكريم، وآيات العقيدة، والجدل... كما أن أكثر العلوم المنطوقة المطوية تحت (علوم القرآن) دفعهم إليها؛ حثَّ القرآن الكريم على إعادة متشابهة إلى محكمه، ورغبتهم في (تفسير القرآن بالقرآن) هذا العلم والفن الذي تنامي حتى أضحي قسمًا مركزيًا في التفسير بالمأثور، إلى جانب تفسير القرآن الكريم بالسُّنة وبقول الصحابة والتابعين.

ولا يسعنا -هنا- أن نسرد كل المؤلفات للتابعين والعلماء في هذه الحقول، ونشير إلى أن هذا الاهتمام بدأ مبكرًا عند بعض المهتمين فقد أَلَّف محمد بن صاحب الكلبى - وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام كتابه (أحكامه القرآن) ويبدو أن أول

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ١٦.

كتاب في هذا المجال، فهو سابق بسنين لكتاب الإمام الشافعي في الموضوع نفسه (١).

وَأَلَّفَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْحَكِيمِ التَّرْمِذِيُّ (الأمثال في الكتاب والسُّنَّةَ)، وَأَلَّفَ أَبُو عِيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْثَى كِتَابَهُ (مَجَازُ الْقُرْآنِ)، وَأَلَّفَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجَرَجَانِيُّ كِتَابِيَهُ (أَسْرَارُ الْبَلَاغَةِ) وَ(دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ) فِي الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

وَأَلَّفَ أَبُو جَعْفَرِ النَّحَّاسُ (النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ) وَالْوَاحِدِيُّ (أَسْبَابُ النُّزُولِ).

وَأَلَّفَ مِقَاتِلُ بْنُ سَلِيمَانَ كِتَابَهُ (الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَأَلَّفَ الدَّمَغَانِيُّ كِتَابَهُ (قَامُوسُ الْقُرْآنِ أَوْ إِصْلَاحُ الْوُجُوهِ وَالنِّظَائِرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)، وَأَلَّفَ ابْنُ الْقَيْمِ (التِّيْبَانُ فِي أَقْسَامِ الْقُرْآنِ).

كما سعى بعض العلماء وعلى الأخص العلامة المجلسي في موسوعته (بحار الأنوار) إلى بدء كل باب من أبوابها بعرض الآيات القرآنية الواردة فيه والاستفادة منه، وتشكيل رؤية قرآنية عن الموضوع المراد طرده قبل الولوج إلى الأحاديث والروايات الشريفة.

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١: ١٧.

### المرحلة الثانية: مرحلة النضج<sup>(١)</sup>:

إذا كان ما مضى يمثل مرحلة البدايات الموضوعية للقرآن الكريم، وقد استمرت قرونًا ممتدة، وشهدنا اهتمام العلماء بـ(علوم القرآن)، فقد جاءت مرحلة النضج للتفسير الموضوعي في القرن العشرين الميلادي، وما شهدته من فروع وتخصصات وبحوث معرفية تفصيلية، ومحاولة البعض للوصول إلى رؤية قرآنية حول موضوع معين فضلاً عن دخول (التفسير الموضوعي) مادة دراسية في بعض الجامعات.

والمقصود بـ(موضوعات القرآن) القيام بدراسات في القرآن الكريم تتناول الموضوعات في القرآن الكريم ذاته للحصول على نظريات قرآنية أو تصور قرآني، أي دراسة موضوعات القرآن الكريم نفسه<sup>(٢)</sup>.

ومن ثمَّ فهناك فرق بين (علوم القرآن) و(موضوعات القرآن)، فالأولى تتناول أمورًا حول القرآن الكريم، كالمحکم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والثانية تتناول

---

(١) ينظر كل من: نفحات القرآن: ١: ٩٠٧، موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور: ١٨٧، ١٨٨.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢: ١٠٣٧.

موضوعات في القرآن الكريم كالقيام بدراسة عن التوحيد، أو الإنسان، أو العفو والصفح، أو البحار أو غير ذلك في القرآن الكريم.

والتفسير الموضوعي يعد من الحقول الداخلة في موضوعات القرآن الكريم. ونستطيع أن نختزل (مرحلة النضج) بوصفها تدور حول (موضوعات القرآن) وقد شهدت بذاتها خطوات متتابعة متكاملة، منها<sup>(١)</sup>:

١. جهود الأفغاني: يؤرخ البعض لوجود اللبنة الأولى للموضوعات القرآنية بجهود السيد: جمال الدين الأفغاني (ت: ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م) عبر (المقالات التفسيرية) التي كان يكتبها في مجلة (العروة الوثقى) وسعيها لإبراز موضوع أو فكرة عن طريق آية أو مجموعة من الآيات؛ لأنها جعلت من الكشف عن الموضوعات القرآنية غاية تنبع إلى حد ما نبع الألفاظ وتجميعها وعدم الاكتفاء بتحليلها في موضعها.

وتعتبر هذه الخطوة التي تنتمي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي الممهّد الفعلي لظهور التفسير الموضوعي في القرن العشرين.

٢. مدرسة المنار: وتأتي اللبنة الثانية حين تلقف الشيخ: محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) من أستاذه السيد: جمال الدين الأفغاني

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢: ١٠٣٧-١٠٤٠.

فكرة المقالات التفسيرية، وراح يواصل الكتابة لها، وأضاف لها تفسيره للقرآن الكريم في جامع الأزهر الشريف بطريقة يجمع فيها بين المنهجين: الموضوعي التحليلي: والموضوعي التوحيدي، بالشكل الذي بدأ شيء منه فيما دونه تلميذه الشيخ: محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م) في تفسير (المنار).

وبجهود الشيخ: عبده في المنهج الذي سار عليه في تفسير (المنار) تكون (المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير) قد وُلدت وبزغت للعيان وعُرفت بهذا الاسم نتيجة للمنهج العقلي الاجتماعي الذي تسير عليه في التفسير، كما عُرفت باسم (مدرسة المنار)، تسمية لها باسم عنوان التفسير الذي أصدرته.

وإذا كان الجهد التفسيري الذي يحويه (تفسير المنار) بين دفتيه يعود للشيخ: عبده منه ما امتد من أول تفسير للقرآن الكريم إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء فحسب، أنشأه الشيخ: عبده، ودونه الشيخ: محمد رشيد رضا، فقد مضى الشيخ: رضا في إكمال مشوار التفسير على خطى ومنهج أستاذه، فأتمَّ التفسير إلى الآية (٥٣) من سورة يوسف وضمَّه إلى تفسير (المنار).

سار على هذه الطريقة في تفسير الشيخ (محمد شلتوت) (ت: ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م) في تفسيره المسمى (تفسير القرآن الكريم) الذي تناول فيه الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم بطريقة

تجمع بني النهجين: الموضوعي والموضوعي، فكان يتبع المفردة أو الموضوع عند ذكر أول آية له، فلدى ورود لفظة (الحمد) في سورة الفاتحة تناول موضوع (الحمد في القرآن الكريم) وتتبع مواطن ورود تلك الكلمة، وكذلك فعل عند ورود لفظة (البر) فقدّم بحثاً في (البر في القرآن الكريم).

كما سار على الخطى نفسها تلميذ آخر للشيخ: عبده، هو الشيخ: أحمد مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م) في تفسير المراغي، وهذه الطريقة التي تجمع في عطائها التفسيري بين شكلي التفسير التحليلي والموضوعي تنبأها -فيما بعد- السيد: محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م) في تفسيره (الميزان) والسيد: عبد الأعلى السبزواري (ت: ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م) في تفسيره (مواهب الرحمان).

٣. مدرسة الأمناء: تلقف الأستاذ: أمين الخولي (ت: ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م) نواة المنهج الجديد من عند مدرسة المنار، وسعى للتأصيل لها، بغية إبراز تفسير موضوعي، فألف كتاب (مناهج تجديد) ووضع فيه الخطوات العملية لمنهج (التفسير البياني الأدبي للقرآن الكريم)، ومنها:



أ- الأصل في المنهج: وهو تناول الموضوعي لما يُراد فهمه من كتاب الإسلام (القرآن الكريم) ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

ب- في فهم ما حول النفس: ترتب الآيات فيه حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما يُستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لا بست نزول الآية، دون أن يفوتنا أن (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) الذي نزلت فيه، وليس السبب فيها بمعنى الحكمة أو العلية التي لولاها لما نزلت الآية وأن الخلاف في أسباب النزول يرجع غالبًا إلى أن الذين عاصروا نزول الآية أو السورة وربطها كل منهم بما يعتقد أنه السبب في نزولها.

ت- في فهم دلالات الألفاظ: العربية هي لغة القرآن الكريم، فنلتمس الدلالة اللغوية الأصلية المعطاة منها للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية فنجمع كل ما في القرآن الكريم من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن الكريم كله.

ث- في فهم أسرار التعبير: نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم، ملتزمين بما يحتمله نصًا وروحًا ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقيم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات والتأويلات المذهبية.

كما نحتكم إلى كتابنا الأكبر (القرآن الكريم) (في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية نعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين،

ولا نعرضه عليها وقد وضعها علماء أكثرهم طارئ على العربية لم يكسبوها ذوقاً وسليقة، وإن أجادوا علماً وصناعة" (١).

وقد حمل راية منهج (التفسير البياني) بعد أمين الخولي زوجته عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطيء) وقدّمت فيه العديد من التطبيقات تضمنها كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) وغيره.

٤. الموضوعات المستقلة: مهّدت الجهود الماضية لبروز كتب ودراسات مستقلة تتناول بعض الموضوعات القرآنية عن طريق الكتاب العزيز.

- كتب مهدي علام، دراسة حول العفو في القرآن الكريم.
- كتب الشيخ: محمد شلتوت، رسالتين حول (القرآن والقتال) و(المرأة في القرآن الكريم).
- كتب عباس محمود العقاد (المرأة في القرآن الكريم) و(الإنسان في القرآن الكريم) و(الفلسفة القرآنية).
- كتب د. محمد دراز (دستور الأخلاق في القرآن).
- كتب محمد عزت: (الدستور القرآني في شؤون الحياة) و(سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن) و(القرآن والضمان الاجتماعي).
- كتب السيد: الشهيد محمد باقر الصدر (المدرسة القرآنية) (١).

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١، ١٠، ١١.

وهكذا شهدنا بعض الموضوعات القرآنية المعاصرة، وسعيًا  
حيثًا لكتابة دراسات قرآنية، أو تأليف كتب عن ذلك، تأليف تفاسير  
موضوعية أو دورات حول موضوعات عدة تناولها القرآن المجيد،  
وإذا كانت هذه بمجموعها تنتمي للحقل التطبيقي، فقد رأينا أخيرًا  
السعي للقيام بعملية تنظير معرفي للتفسير الموضوعي.

١. وقد شهدنا دراسات عدة عُنت بالتفسير الموضوعي تنظيرًا  
وتطبيقًا غير أن الجهد التنظيري تأخر عن الجهد التطبيقي، وقلة  
المنهجية المقننة الأمر الذي أدى إلى أن تسد كتب شيئًا عنه،  
منها:

- (١) المدرسة القرآنية للسيد: محمد باقر الصدر.
- (٢) المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور: عبد الستار فتح الله  
أحمد.
- (٣) البداية في التفسير الموضوعي للدكتور: عبد الحي الفرماوي.
- (٤) مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور: مصطفى مسلم.
- (٥) منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتور:  
زياد خليل الدغامين.

- ٦) التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل للدكتور: زيد عمر العيص.
- ٧) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور: صلاح عبد الفتاح الخالدي.
- ٨) التفسير الموضوعي: نظرية وتطبيق للدكتور: أحمد عثمان رحمانى.
- ٩) مناهج التفسير الموضوعي للدكتور: أحمد عثمان رحمانى.
- ١٠) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتور: أحمد الكوفي وآخرون.
- ١١) ويدمج جهود المرحلتين نخلص إلى أن التفسير الموضوعي مر بالخطوات التالية:
- ١٢) القرآن الكريم ودعوته إلى إرجاع المتشابه إلى المحكم.
- ١٣) القرآن الكريم وتفعيل الجمع الموضوعي.
- ١٤) القرآن الكريم والقيام بالعرض الموضوعي.
- ١٥) أهل البيت والاستلهام من القرآن الكريم.
- ١٦) أهل البيت والاستفادة الموضوعية من القرآن الكريم.
- ١٧) العلماء وعلوم القرآن الكريم.
- ١٨) العلماء وموضوعات القرآن الكريم.

### المرحلة الثالثة: مرحلة الانتشار<sup>(١)</sup>:

إذا كانت كتابة الموضوعات القرآنية قد بدأت على أيدي رواد قلائل يكتبون فيها، فإننا نتظر ببالغ الصبر، انتشار البحث القرآني، واتساع التعاطي معه في الجامعات والمجلات والكتب والندوات والمؤتمرات والاهتمام بالموضوعات القرآنية.

ومع وجود مادة التفسير الموضوعي في بعض الجامعات، وكتابة بعض البحوث والرسائل والأطاريح الجامعية حول موضوعات قرآنية، ووجود بعض المجلات المتخصصة في القرآن الكريم، أو نشر بعض موضوعاته وصدور بعض الكتب والتفاسير الموضوعية، وعقد ندوات ومؤتمرات لعرض ومناقشة الموضوعات القرآنية إلا أن هذا الانتشار والحضور ليس بالمستوى الذي يتوازي مع مكانة وأهمية القرآن الكريم في حياة المسلمين كدستور خالد لها، ولا مع سعة ووفرة وعمق الموضوعات القرآنية، ولا مع ما يستحق أن نعدّه مجسّداً لدخول مرحلة ثالثة لذا المستوى الانتشاري لا يُقاس بما تحظى بها الموضوعات الأدبية ولم يرتكز كأساس راسخ حتى في المجاميع الدينية في الحوزات والجامعات والمعاهد.

(١) ينظر كل من: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: ٣٠-٣٥، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله يوسف بن عيسى العنزي:

ومن ثمَّ فنحن نرى أن (مرحلة الانتشار) هي مرحلة فرضية لازالت في عين الترقب والغيب، وتلهدف ونتطلع إليها، حتى تُثار الموضوعات القرآنية بسعة وعمق، وبما يتناسب مع التنظير للواقع وتحريكه وصياغته وفقاً للقرآن الكريم، وحتى تم الاستفادة من المعين القرآني ليروي الأرض ويجعلها تخضر بكل زرع بهيج وثمر يانع.

والخلاصة في المراحل الثلاث الواردة: نعتقد أن التفسير الموضوعي لازال بمرحلة البدايات، وأنه الآن في البداية لمرحلة النضج وندرب ظهور مرحلة جديدة ثالثة هي مرحلة الانتشار، ونساءل هنا:

١. القرآن الكريم نزل منجماً مجزئاً فما الداعي الموضوعي؟
  ٢. الحديث والفقه والتفسير: أيهما أسبق موضوعياً؟ ولماذا؟
  ٣. مجموع التدبر الموضوعي هل يشكّل تدبراً موضوعياً؟
- نبدأ بمناقشة التساؤل الأول<sup>(١)</sup>:

القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة (أي الإسلام عموماً قد صاغ مدلولاته التفسيرية تفصيلاً، أي مفرقة حسب الزمان والمكان

(١) ينظر: موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربي، حلب:

والفرض، بل ومختلفة حسب السائل وحاجته ومستواه، ولم يطرح النظرية الشاملة في مكان واحد وزمان واحد وباب واحد.

فالقرآن الكريم لم يذكر سورة مستقلة أو باباً أو فصلاً خاصاً بعنوان (العلم) أو (التوحيد) أو (الزواج) أو (الصلاة)... أو غير ذلك، وإنما جاءت معارفه في هذه الحقول موزعة على ١١٤ سورة وعلى مدى ٢٣ سنة هي مدة نزول القرآن الكريم.

ثم لما اكتمل نزول القرآن الكريم رتبته النبي ﷺ بأمر من الله سبحانه وفق التدوين الموجود في المصحف الشريف الآن، فجاءت سورة مدنية كالبقرة في أول القرآن الكريم. وجاءت سورة مكية كالناس في آخره، ووضعت آيات مكية في السور المدنية، وآيات مدنية في السور المكية، فلم يرتبه النبي ﷺ وفق النزول ولا وفق الموضوعات.

والأمر نفسه في السنة المباركة، فلم يذكر النبي ﷺ النظرية العامة دفعة واحدة في موضوعات صفات الله سبحانه أو المعاد أو الإمامة أو الأخلاق أو الجهاد أو السياسة أو الكون أو سنن التاريخ أو... وإنما جاءت موزعة في أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته على مدى حياته الكريمة كاملة.

وهكذا نصل إلى أن منهج القرآن الكريم والسنة هو توزيع المادة حسب الغرض (التربوي) لا حسب الغرض (المعرفي) الذي يستدعي جمع شتات الموضوع في مكان واحد ودفعة واحدة.

وإذا كان منهج الإسلام - قرآنًا وسنةً - ألا تأتي النظرية على شكل معرفي متكامل في مكان واحد وفي دفعة واحدة، وإنما تُوزَع حسب الفائدة التربوية، وإذا كان أمام النبي ﷺ إمكانية لترتيب الآي الكريم وفق الموضوعات فلم يفعل، فلماذا نأخذ بمنهج مخالف لما ارتآه القرآن والسنة؟! ولماذا نتبع الدراسة الموضوعية التي لم يسيرا عليها؟! ولماذا نُعيد ترتيب الآيات وفقًا للموضع البحثي المخالف للتدوين التوقيفي في المصحف؟!!

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

إن الصحابة حين إصغائهم للآيات الشريفة كان عندهم فهم ارتكازي إجمالي لنظرية الإسلام، وتعارف عام لمدلول تلك النظرية، فكانت التفاصيل تُصاغ في أذهانهم بيسر متحولة لكليات يساعدهم على ذلك عدة أمور منها:

#### ١. القرب اللغوي والتلقي الفطري:

فهم يفهمون مدلولات القرآن الكريم بشكل مباشر، دون الحاجة لشخص يشرح لهم المداليل اللغوية، وقد أسهم هذا في استنتاج الكليات لديهم لیسر وسهولة، ولا يضر بهذا وجود أشخاص



لا يعرفون معنى كلمة (أبًا) في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾<sup>(١)</sup>، أو الكلاله في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُو هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾<sup>(٢)</sup>، أو كلمة (عُجَاب) في قوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾<sup>(٣)</sup> وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاضْمُرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾<sup>(٣)</sup>؛ لأن الصورة العامة لمجتمع لا يقيم بحالات شاذة ومتفرقة، وإنما تُقيم بالظاهرة العامة السائدة فيه، والظاهرة السائدة في المجتمع العربي أنه كان سليقيًا فطريًا يتلقى اللغة بعفوية بدليل بقاء الاستشهاد باللسان العربي إلى سنة ١٥٠ هـ: ٧٦٧ م حين وجدوا تفشي اللحن وفساد اللسان، فأسقطوا الاستدلال بلسان أهل المدن، ثم ألحقوا بهم أهل البوادي في سنة ٣٠٠ هـ: ٩١٢ م، وبدليل إنكار كثير من تفسيرات ابن عباس للآي القرآني على شواهد شعرية أو نثرية من ألسنة العرب، واعتماد المفسرون على ذلك النهج لكشف دلالات الألفاظ والأساليب القرآنية.

كما لا يضر أيضًا جهل الناس بالمعاني الخاصة التي استحدثها الإسلام للألفاظ والمعاني التي نقل إليها الألفاظ العربية

(١) عبس: ٣١

(٢) النساء: ١٧٦

(٣) ص: ٥

(الحقيقة الشرعية) كقنلة للفظة (الصلاة) من معنى (الدعاء) إلى هذه الأقوال والألفاظ المخصوصة التي تبتدأ بالتكبير وتُختتم بالتسليم، فنحن نتحدث عن قريهم اللغوي لا الاصطلاحي الشرعي.

## ٢. المناخ القرآني العام للحياة الإسلامية:

فقد كان الجو حولهم محاطًا بالرسالة وأجواء الدولة الإسلامية، ويمكن للمسلم أن يدرك ارتكازًا عامًا لنظرية (المسجد) في حياة المسلمين عبر ما يراه حوله من نظام قائم للمسجد: هيئة وأدبًا ووظيفة.

## ٣. التطبيق النبوي للآيات:

وإلى جانب كون الصحابة في ذلك الوقت من أهل اللغة والأقحاح الذين تلقوها بقلوبهم ووعوها بسليقتهم وفطرتهم، ومعاني مفرداتها حاضرة في ألبابهم، والصورة التركيبية العامة للجمل جلية في أدمغتهم، كانوا يحتكون مباشرة بممارسة النظرية من رائدها الأكبر، الرسول الكريم ﷺ في مقام التجسيد والممارسة، فيدركون بذلك الرؤية الكلية للآيات.

أي أن المناخ الإسلامي الذي سار في زمن النبي ﷺ كان سهل عليهم فهم المدلولات القرآنية وكانت التفسيرات المعصومة للآيات حاضرة لديهم مفهومًا وتطبيقًا، فضلًا عما تغدقه عليهم البيئة الإسلامية العامة من موجهاً للفهم القرآني.

كان ذلك في حالة أضحى فيه ذوق المتلقي سليماً لدى العرب المشافهين للقرآن الكريم عمومًا، ولدى الأغلبية السابقة من المسلمين كذلك وقبل أن تفسد ألسنة العرب بما اكتسبوه من مخالطتهم لغير العرب وتزواج معهم، وبُعد عن منبع اللغة الصافي؛ مما كان له الأثر الأكبر في تشويه أو تغيير السليقة اللغوية وتفكيرها.

أما نحن في هذا الزمن، فمن جهة نعيش البُعد عن ينباع الأولى للغة وعن النص وحضور المعصوم عليه السلام، فلم نُحرم من التلقي العفوي المباشر للغة ومن معطيات الجو الإسلامي فحسب، بل أمسى كثيرون منالاً يعرفون معنى كثير من المفردات العربية التي أضحت لديهم كلمات معجمية قاموسية مستغلقة، ولا يعرفون مفاهيم الجمل العربية (التراكيب) لاسيما انتمت تلك الجمل إلى الماضي ولم يعد أكثرها تهتز مشاعره لبيت شعر أو أداء لغوي بليغ<sup>(١)</sup>.

ومن جهة أخرى تشاكلت علينا أطروحات بشرية بعيدة عن روح الشريعة ومقاصدها، كبعض النظريات الشرقية والغربية التي تُعد إسهامًا بشريًا ليس بالضرورة أن يوافق الفكر الديني الإسلامي أو يلائم مناخه وروحه، بل... والأعظم من ذلك نجد أن الفكر المنتج في بلاد المسلمين هو نفسه ليس بالضرورة أن يوافق الإسلام، فكم

(١) ينظر: خزانة الكتب (كتب اللغة العربية)، إعداد القسم العلمي لمؤسسة الدرر

هي التداخلات بين الاتجاهات الفكرية، وكم هي الخيوط الرفيعة بين الأفكار بحيث غدا من السهل جداً أن نرى طرفاً ينطلق من التنظيم الإسلامي: القومي في وقت واحد، أو يلبس الإسلام والليبرالية في الوقت نفسه، أن ينتهج الإسلام والاشتراكية في أيديولوجية واحدة!!<sup>(١)</sup>

---

(١) ينظر: موسوعة علوم القرآن: ٤٥.

# المبحث السابع

## أقسام التدبر الموضوعي

ينقسم التفسير الموضوعي إلى قسمين هما:

### أولاً: التفسير الموضوعي التجميعي:

هو " قسم من منهج التفسير الموضوعي العام تستهدف سبر أغوار الموضوعات اللغوية عن طريق القرآن الكريم كله وذلك بتكوين شبكة علاقات بين النصوص للخروج بتصور حول الموضوع أو نظرية فيه"<sup>(١)</sup>.

وسُمِّي (تجميعياً) لأن صاحبه يقوم بجمع الآيات القرآنية المتفرقة في القرآن الكريم بأجمعه ليكون منها موضوعاً جديداً، فهو تجميعي تركيبى<sup>(٢)</sup>، فهو منهج يستدعي القيام بعملية (استقرائية) تتبع الآيات التي تحدثت عن الموضوع المزمع دراسته وجمعه.

---

(١) مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، أ.د: أحمد بن عثمان

رحماني: ١٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٦.

هذا القسم هو الأشهر من بين أقسام التفسير الموضوعي وأكثر الذين تحدثوا عنه كان في أذهانهم ودراساتهم هذا القسم. بحيث تركزت تعريفاتهم على هذا القسم، فإن سحب المستوى التطبيقي للمستوى النظري حتى في مجال التعريف.

وفي التفسير الموضوعي التجميعي تتدرج المجالات التالية<sup>(١)</sup>:

١. دراسة (موضوع) في القرآن الكريم.

٢. دراسة (مصطلح) في القرآن الكريم.

٣. دراسة (أداة) في القرآن الكريم.

٤. دراسة (أسلوب) في القرآن الكريم.

لأن الجامع المشترك بينها جميعاً هو أخذ شيء ودراسته على مساحة القرآن الكريم كاملاً، ومن ثمّ تجميع الآيات التي تناولته، والخروج برؤية وتصور عن طريقها.

### ثانياً: التفسير الموضوعي الكشفي:

هو قسم من التفسير الموضوعي العام: "يستهدف سبر أغوار السور القرآنية؛ لكشف وحدتها الموضوعية والوقوف على تصور

(١) ينظر: مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، أ.د: أحمد بن

سليم للموضوع الذي تعبر عنه<sup>(١)</sup>، أي أن صاحبه يهدف إلى اكتشاف وحدة الموضوع في السورة الواحدة<sup>(٢)</sup>، بمعنى أنه لا يدرس الموضوع على امتداد القرآن الكريم، بل يدرس سورة واحدة، لغرض كشف الوحدة الموضوعية فيها.

يبدأ هناك من يجريه على "دراسة موضوع في سورة" أو دراسة موضوع في مجموعة من الآيات، أو آية مباركة (المقالة التفسيرية) ومن ثمّ يمكن أن يُدرج تحت التفسير الكشفي كل من<sup>(٣)</sup>:

١. دراسة (سورة) قرآنية.
٢. دراسة (موضوع) في سورة قرآنية.
٣. (المقالة التفسيرية) التي تتناول فكرة أو موضوع عن طريق آية أو آيات لذا نشأت تسميات عدة له منها<sup>(٤)</sup>:
  - أ- فيسمى بالتفسير الكشفي؛ لأن صاحبه يهدف لاكتشاف وحدة الموضوع في السورة، فهو تحليلي كشفي بخلاف الموضوع الجمعي الذي هو تجميعي تركيبى.
  - ب- ويُسمى بالتفسير السورى؛ لأنه يدرس السورة القرآنية بوصفها وحدة موضوعية.

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ٦٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥.

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ٦٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥، ٦٦.

ت- ولأن تسميته بـ(الموضعي: الموضوعي) ربما يفهم منها أنها تقسم التدبر إلى ثلاثة أقسام: موضعي، موضوعي، موضعي: موضوعي، في حين درج في التقسيم على أنه نوعان، وما اصطلح عليه بـ(الموضعي: الموضوعي) هو تدبر موضوعي، لكنه من موضع مكثف، فهو لا يمت إلى الموضوعية بصلة إلا اشتقاقه من موضع واحد، على أن تعمم دائرة المقصود من الكشفي لا بخصوص الكشف عن الوحدة الموضوعية في السورة فحسب. وإنما للكشف عن الوحدة الموضوعية عمومًا، سواء أكانت في السورة، أو في موضوع تناولته سورة، أو في موضوع تناولته آيات أو آية. أي أنه كاشف عن وجود موضوع واحد متناسق<sup>(١)</sup>.

٤. التفسير الكشفي هل هو تفسير موضوعي؟!

نرى الخلاف واقع في عدّ التفسير الكشفي قسمًا من التفسير

الموضوعي لأسباب عدة منها:

أولاً: ما المقصود بالوحدة الموضوعية في السورة؟<sup>(٢)</sup>

درج كثير من منظري المنهج الكشفي على القول بأن كل سورة قرآنية تنظمها وحدة موضوعية راسخة، وما دامت هناك وحدة موضوعية لكل سورة فتناول السورة يعني دراسة موضوع قرآني،

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ٦٦.

(٢) مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي: ١٨-٢٠.



وذلك يجعل من دراسة السورة ما ينطوي تحت طي (التفسير الموضوعي) لا (الموضعي).

وهذا الدليل والقاعدة الذي تمَّ تأسيس الفكرة عليه غير مسلم عند البعض؛ لأنهم يتساءلون: ما معنى (الوحدة الموضوعية) للسورة القرآنية؟

ث - هل المقصود أن السورة تتلائم آياتها وتترابط كتربط أعضاء البدن، منتجة حلاً منسجماً؟

ج - هل المقصود أن السورة تتناول موضوعاً تفصيلياً متكاملًا لجميع المفردات والمباحث التي ترد فيها، كما لو تحدثت سورة عن (العلم، والتقوى، والمعاد) بحيث تُغني دراسة السورة عن دراسة ذلك في الآيات والسور الأخرى؟

الجواب: إن كان الأول فترابط الآيات وتلاحمها يدل على (الوحدة العضوية) لكنه لا يدل بالضرورة على أن السورة تتناول موضوعاً واحداً، فلا يثبت (الوحدة الموضوعية).

وإذا كان الثاني، فليس هناك سورة مخصصة علمياً ضمن حقول، بل قد تتحدث السورة عن أكثر من موضوع، لاسيما السور الطوال.

أما الثالث فهو غير معقول؛ لأن بعض سور القرآن الكريم تتناول شذرات من موضوعات، لا تغني عما ذكرته وأكملته سور أخرى.

ومن ثمّ فالمعاني السابقة المقصودة من الوحدة الموضوعية؛ إما قائمة على الخلط بينها وبين الوحدة العضوية، وإما يقطع بها وبعدم صحتها، وإما غير معقولة أصلاً!!

فعليه يمكن تعريف الوحدة الموضوعية: إن تشابك آيات السورة ينتج موضوعاً جديداً متكاملأً لها، وتقاطعها مع الموضوعات الأخرى، إنما يتم بقدر ما يخدم الموضوع الأصلي فحسب لا بما يسد عن جميع الموضوعات التفصيلية الأخرى في القرآن الكريم.

وفي تعريفها ورد: مفهوم الشيء عبارة عما يدل عليه من حكم لا يدخل في لفظه ومعناه، كقوله تعالى: «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا»<sup>(١)</sup>، ومفهوم أن ضربهما وشتمهما أولى بالتحريم، ورجل فهم من قوم فهماً. والفهم يقتضي الإحاطة بالمقصود إليه<sup>(٢)</sup>.

(١) الإسراء: ٢٣

(٢) ينظر: معجم المصطلحات العربية، د. فايز الداية: ٧٧.

فالوحدة كون الشيء لا ينقسم، ويراد بها عدم التجزئة والانقسام<sup>(١)</sup>. والوحدة في النظام السياسي: (اتحاد أمتين أو أكثر في الرياسة والسياسة والاقتصاد والجيش)<sup>(٢)</sup>.

والوحدة الموضوعية كمركب لفظي: تعني أن للسورة الواحدة في القرآن الكريم موضوعاً منفرداً، وهو في الوقت ذاته مجموعة من المحاور مجتمعة تشكّل ذلك الموضوع الذي يسمى موضوع السورة، وتلك النظرة الكلية الشاملة لما جاء فيها<sup>(٣)</sup>، حيث يقول الشاطبي (ت: ٧٩١هـ) في الموافقات وهو يتحدث عن النظم وفوائده: " باعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالإقتصار على بعضها غير مقيد للمقصود منها"<sup>(٤)</sup>.

وما يزيد هذا المعنى وضوحاً قول الدكتور: مصطفى مسلم، حيث يتحدث عن طريق تناول التفسير الموضوعي، إذ يُعبر البحث عن موضوع السورة، وتتبعها لوئاً من ألوان التفسير الموضوعي، إذ يقول: " وكما أن الهوايات تجتمع في القرآن الكريم بتمامه، فإن هذه الهدايات مثبتة، فنجد كل سورة وحدة تجتمع حولها آياتها وإن

(١) ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي: ٣٢.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، ٢: ١٠٢٨.

(٣) ينظر: الوحدة الموضوعية للسور القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية (سورة لكهف،

المكية، المدنية: أنموذجاً) د. رياض عميراوي، موقع إلكتروني (مقال).

(٤) الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي: ٣: ٤١٥.

تعددت موضوعاتها، ويحس فيها روحاً تسري بين أجزائها، ووشائج تربط بينها ومقصداً يجمعها... وهذا النوع من الدراسة هو الذي يميز تناول الثالث للتفسير الموضوعي، فدائرته تحبب السورة القرآنية الواحدة، وتنجلي مهمة الباحث في الكشف عن الهدف الجامع الذي تدور حوله السورة وطريقته: أن يستوعب الباحث أهداف السورة المنبثة في أسباب نزولها، وترتيبها، ومكيها، ومدنيها، وأسمائها، وعدد آياتها، ومقاصدها الفرعية، وأساليب عرضها، والمناسبات بين مقاطعها"<sup>(١)</sup>.

فالسورة في مجملها، كلٌّ لا تنفصم عُراه، وطائفة ملتزمة من الآيات لا تحتمل التقطيع، وإنما النظر يكون في كلها، واستيفاء معانيها بتمامها<sup>(٢)</sup>، وكل هذا يعتمد على أوجه المناسبة بين أجزاء السورة الواحدة متكاملة مترابطة في سياقها وأفكارها، إذ تشكل موضوعاً مستقلاً بذاته، مما يجعلها تفرض جواً خاصاً بها، ولا أدل على ذلك من أن تكرار القصة القرآنية في السورة، الغاية منه أن تكون القصة في كل موضوع شاهد على فكرة، وعبرة معينة، تنسجم مع الموضوع الذي سيق له السورة، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: ٢٨.

(٢) ينظر: مجموعة مقالات على الانترنت، د. عبد الحميد غانم، ٢٠٠٥م. على

لتداخل السور المكية في السور المدنية غاية، يُقصد منها مراعاة الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة تتمحور حول فكرة مركزية وكمثال على آية النفاق من سورة العنكبوت المكية النزول. وكذا آخر آية من سورة المزمل مدنية، بينما السورة نفسها مكية<sup>(١)</sup>.

### حقيقة الوحدة الموضوعية:

مما لاشكَّ فيه أن أوجه إعجاز القرآن الكريم متعددة ومتنوعة فكما أنه عجز ببيانه وأسلوبه وطريقة ترتيب آياته وسوره وأحكامه فهو معجز أيضًا في طريقة وأسلوب تناول وعرض القضايا التي يحتاجها الناس في حياتهم، وأنه معجز في إنبائه عن الماضي، وإخباره عن المستقبل، وعن الغيب ومعجز في ترابط سوره وآياته ومعانيه وفي ألفاظه وحروفه ومعجز حتى في موسيقاه، فهو يعطي عن كل موضوع صورة متكاملة تامة على الرغم من معالجته في أكثر من موضوع وأكثر من سورة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وأن جمع القرآن الكريم لموضوعات عدة تصب في محور واحد، تؤدي إلى هدف واحد في سورة واحدة، لأمر عجيب ومعجز حقًا إذ هو يلائم بين موضوعات قد تبدو مختلفة ولكنها بصياغة

(١) ينظر: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، موقع إلكتروني.

خاصة ترابط في السورة وبصياغة أخرى تترايط مع موضوعات أخرى في سورة أخرى بحيث لا يستطيع بشر أن يفعل ذلك وهذا واضح في القصص القرآني، إذ القصة الواحدة واردة في أكثر من سورة، ولكنها تختلف في سورة منه عنها في أخرى لموضوع السورة العام وغرضها الذي يؤدي إليه، ومما يزيدنا يقيناً أن القرآن الكريم من عند الإله الحكيم العليم، عندما نلاحظ أن موضوعات السورة الواحدة قد تباعد زمن نزولها<sup>(١)</sup>.

وحينما يتأمل المتدبر في القرن الكريم يرى ذلك التناسق والترابط العميق بين آياته، تنجلي فيه عظمة الله تعالى وحكمته البالغة، وتتضح لنا حقيقة الوحدة الموضوعية في أنها وجه من أوجه الترابط بين أجزاء وآيات السورة الواحدة، وتآلف معانيها لتشكّل موضوعاً واحداً، هو موضوع السورة ونوعاً من أنواع المناسبات<sup>(٢)</sup>، التي أعجزت أساطين العرب واللغويين عن محاكاة هذا الكلام المترابط المتين، وهذا مما يؤكد أن القرآن الكريم ليس بكلام البشر، وقادر بالرد على الملحدين والمستشرقين وافتراءاتهم.

ويذكر الحجة برهان الدين البقاعي عن هذا الترابط وعلاقته بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية الواحدة، فيقول: " فعلم

(١) ينظر: الوحدة الموضوعية، فوزي عبد المطلب: ٥.

(٢) ينظر: علم المناسبات في السورة والآيات، محمد بن عمر بن سالم. ٢٨.

مناسبات القرآن علم تصرف منه علل ترتيب أجزاءه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيه<sup>(١)</sup>.

ويقول في موضع آخر: "إن من عرف المراد من اسم السورة، عرف مقصودها ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آياتها وقصصها وجميع أجزائها.. فإن كل سورة لها مقصدًا واحدًا، يستدل عليه فيها، فتترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبداع منهج"<sup>(٢)</sup>.

ويُعبّر السيوطي عن هذا المعنى بشكل دقيق للغاية بكلام يحتاج منا الوقوف عنده والتأمل فيه، فيقول: "ومعرفة الأمر الكلي المفيد لمعرفة المناسبات في جميع القرآن هو أنك تنظر الفرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاجه ذلك الفرض من المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراق نفس السامع إلى الأحكام واللوازم النابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل يدفع عناء الاستشراق إلى الوقوف عليها ولهذا يتبين له وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية من كل سورة"<sup>(٣)</sup>.

(١) مصادر النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي: ١ : ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٩.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، بلال الدين السيوطي، تحقيق: فواز أحمد: ٦٩٧.

وإذا كان التفسير الموضوعي علمًا يتخذ الموضوعات الظاهرة أساسًا من منهج القرآن الكريم وأسلوبه في معالجته لها، متخذًا من القواعد والشروط المراعاة في التفسير سلمًا للوصول إلى هدي الكتاب الكريم وجلال شأنه<sup>(١)</sup>.

وإذا كان التفسير الموضوعي منهجًا يتخذه المفسر سبيلًا للكشف عن مراد الله تعالى عن طريق الموضوعات التي يطردها، والقضايا التي يعالجها توضيحًا لهداية القرآن الكريم وتجلية لوجوه إعجازه، فلا أدلّ ولا أجلّ من الوحدة الموضوعية للسورة علاً على نجاعة هذا المنهج في الوصول إلى تجلية المعنى والوقوف على موضوعات القرآن الكريم وهداياته وإن كانت للوحدة الموضوعية علاقة بالنظم والشكل البيوي للقرآن الكريم فإنه لا يتم التحقق من هذا الأمر إلا بالكشف وبراعة ذلك النظم وتلك البيئة الموضوعية عن طريق السورة الواحدة التي يبدو أحيانًا أن لها مقاصد شتى، وأفكارًا عدة مختلفة متباعدة، والحقيقة عكس ذلك تمامًا، إذ الناظر فيها والمدقق لها يرى الكم من الأفكار وذلك التناسق في العبارات والألفاظ وذلك التوافق والتناغم في الفواصل والموسيقى من بداية السورة حتى نهايتها وكيف يقرب العجز على الصدر حتى تبدو تلك

(١) ينظر: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، مقال (شبكة الانترنت).



الأفكار ملتئمة متزاحمة تصب جميعها في قالب واحد يمثل موضوع  
السورة.

وذلك التوافق والتناغم في الفواصل والموسيقى من بداية  
السورة إلى نهايتها وكيف يقلب العجز على الصدر حتى تبدولك  
تلك الأفكار ملتئمة متزاحمة تصب جميعها في قالب واحد يمثل  
موضوع السورة.

وإن كان للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية كل ذلك العذر  
في التوصل إلى فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا فإن لهذا المنهج في  
التفسير أهمية كبرى لا ينبغي الاستهانة بها، وذلك باتخاذ هذا المنهج  
طريقًا لفهم المعنى الدقيق لسور القرآن الكريم في شكله الكلي، حيث  
يساعد هذا الفهم في وضع اليد على المعنى والمقصود الذي ترمي  
إليه السورة ولا يترك مجالاً للتخبط والحيرة في ترجيح معنى على  
آخر، بل يكسب المعنى قناعة تامة في المعنى الذي يختاره والذي  
يخدم مقصد السورة ككل، ولنضرب مثالاً على ذلك:

لندرس موضوع (الصدق، القائل، المؤمن) في القرآن الكريم  
فيحتاج كل موضوع منه إلى عمل شامل واسع في القرآن الكريم حتى  
يصل إليه، يتناسب معه استعمال أدوات التدبر الموضوعي  
التجميعي، لكن .. يمكن أن تأتي سورة للتحديث عن (صدق القائد  
المؤمن)، فهي عمل مركز لدراسة هذا المحور فقط، وذلك

موضوعها، ومن ثمَّ لا يتطلب ذلك أن تقوم السورة بدراسة مسهبة عن (الصدق) وأنواعه، وفوائده، و... ثم دراسة أخرى مسهبة عن (القائد) وأنواعه وكيفية بنائه، وعناصر تأثيره في إتباعه و... ثم دراسة  
ثالثة عن (المؤمن) ومنازله وثوابه و...

وهذا أشبه بكاتب أو خطين يكتب أو يلقي موضوعاً ما...،  
فيستفيد بقدر من موضوعات أخرى لصالح موضوعه المركزي  
الأساس، لكنه لا يتجاوب معها بما يحيل موضوعه (كشكولاً  
مسطحاً) يضيع عنصر التركيز، قد يتناول مثلاً (أثر الشمس في عملية  
التمثيل الضوئي عند النبات) فلا يستطرد في موضوع تفصيلي عن  
(الشمس)، وماهيتها وحجمها، وكثافتها وعمرها، ودرجة حرارتها،  
والغازات التي تتفاعل فيها، والبقع الشمسية والشواظ الشمسي  
وبُعدها عن الأرض!! ثم موضوع تفصيلي (ثان) عن (الضوء) وثالث  
عن (النبات)!!

إن هذا العرض المسطح ربما ينم عن رغبة في الاستعراض  
العلمي، أو عن سذاجة معرفية في التعاطي مع الموضوعات. أو عن  
خلل منهجي بحثي! وحين نقول بالوحدة الموضوعية للسورة، إنما  
نريد القول: إنها تحتوي على موضوع كامل، قد يكون دقيقاً جداً.  
لكن ذلك لا يستدعي حديثها عن مجموع موضوعات الكلمات التي  
ترد فيها، وإنما تتعامل معها بما يصب في رافد الموضوع الأساس.

ويبدو أن الذين أنكروا الوحدة الموضوعية في السورة لم يلتفتوا إلى هذا التفريق، فضلاً عن أنهم يوزعون مجاميع الآيات على مقاطع يدرسونها تفضيلاً لكنهم لا يتعمقون في البحث عن الرابط بين تلك المقاطع، والرابط الذي حوّل الولوج لما ظنوه نقله في السورة إلى موضوعات متباعدة، ومن ثمّ ظنوا بأنّ السورة القرآنية تتحدث عن موضوعات شتى.

### نفي الوحدة الموضوعية:

ذهب البعض إلى عدم وجود الوحدة الموضوعية في كثير من سور القرآن الكريم لاسيما السور الطوال، فهي تحمل موضوعات متباعدة جمعت في سورة واحدة، مما استدلوا به على نفي الوحدة الموضوعية ما يلي:-

#### أ- النزول التدريجي المنجّم للقرآن الكريم:

ذهب العلماء إلى نزول القرآن الكريم تدريجياً في نيف وعشرين سنة بحسب الحاجة إلى نزوله أي نزوله منجّماً لأسباب وأحكام تختلف الحاجة إليها، وهذا النزول التدريجي جعل العلماء ينفون الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم. قال الشيخ: عز الدين عبد السلام: "إن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، ما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض؟ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع

اختلاف العلل والأسباب، كتصرف الملوك والحكام والمفتين، وتصرف الإنسان في نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها" (١).

لذا فيستبعد لدى بعض العلماء عدم وجود الوحدة الموضوعية في السورة من حيث الأصل كما في قول الدكتور: زيد عمر العيص، معلقاً على هذا النص: " يُفهم من كلام القرآن إنه يستبعد من حيث الأصل الوحدة الموضوعية في السورة" (٢) وهذا النص مسوق لنفي الوحدة العضوية لا الموضوعية لكن نفي الوحدة العضوية بما يعنيه من عدم ترابط الأجزاء، يقتضي نفي الوحدة الموضوعية، وإن كان إثبات الوحدة العضوية لا يثبت الوحدة الموضوعية، بينما إثبات الوحدة الموضوعية يثبت الوحدة العضوية؛ لأن الكلام حين يكون بأجمعه في موضوع واحد فذاك يثبت بالضرورة إنه مترابط متواصل (٣).

يقول الدكتور: فهد الرومي، في معرض تقرير رأي أصحاب المدرسة العقلية في التفسير: " وإثبات الوحدة الموضوعية في السورة

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١ : ٧١، ٧٢.

(٢) التفسير الموضوعي: التأصيل والتمثيل: ١١٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٧.

القرآنية بصورة جليّة يثبت ارتباط الآي بعضها ببعض، فتتناسق آياتها وتتلاحم حتى تكون كالسبيكة الواحدة" (١).

ب- تحديد موضوعات السور أمر اجتهادي:

يرى هؤلاء النافون للوحدة الموضوعية: "إن دراسة السورة دراسة موضوعية يتوقف على تحديد موضوعها (العنوان، الإطار العام) الذي يشكل المحور الذي تركز عليه أفكارها وتحديد الموضوعات (العناوين) للسور بوصفها موضوع السورة القرآنية أمر اجتهادي تخميني ظني، يقوم به الباحث والمفسر، فهو من يجعل للسورة الكريمة هدفاً ينتزعه من ملاحظة معانيها ثم ينزل الآيات المتعددة في السورة لتحقيق هذا الهدف" (٢).

وذاك الأمر الاجتهادي لا يمنع من بروز اجتهادي مقابل ومخالف يرى أن موضوع السورة شيء آخر مختلف!! وذلك ما تشهده في تحديد موضوع السورة عند المفسرين الذين يحرصون على تلخيص موضوع تتكلم السورة عنه، فهم جدُّ مختلفين في تحديد الموضوع أو العنوان أو المحور العام أو السياق العام الذي تدور

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي: ٢٢٥.

(٢) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٢٤، ٢٥.

حوله السورة. هذا إذ لم يغير المفسر نفسه وآية في موضوع السورة ومحورها<sup>(١)</sup>.

وقد استعرض الدكتور: زياد الدغامين آراء عشرة مفسرين أكثرهم من المعاصرين، وذكر الإطار العام الذي أتاه كل منهم السورة الحجر، ورأى في أقوالهم تبايناً مشهوداً ثم عقب على ذلك بقوله: " الناظر في هذه الأقوال جميعاً يسعه أن يذكر ما يسمى بـ(الوحدة الموضوعية) في سور القرآن الكريم؛ نظراً لتباين هذه الأقوال وتباعدها، وطريقة تقسيمها"<sup>(٢)</sup>.

والنتيجة التي توصل إليها هؤلاء أن " هذا الضرب من الدراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي؛ لأن موضوعه وهو هدف السورة المتعددة الآيات أمر التماسي اجتماعي تختلف فيه الأنظار، فكيف تُصنّف الآيات في السورة على هدف مختلف في تحديده؟ وكيف يقوم التفسير على الاحتمال؟ مع أن الأصل في التفسير الموضوعي أن يقوم على أساس النصوص ذاتها أو معانيها المتحققة، وإلى أن تقوم لهذا الضرب خطة علمية محكمة القواعد واضحة

(١) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٢٦.

(٢) منهجية البحث في التفسير الموضوعي، د. زياد الدغامين: ١٥٠.

المعالم فإننا نعده من باب الدراسات القرآنية العامة وليس في التفسير الموضوعي" (١).

ت - إغفال بعض موضوعات السورة:

يرى الدكتور: رجب بيومي، أن الحرص على القول بالوحدة الموضوعية للسورة يؤدي إلى إغفال بعض موضوعات السورة التي لا تنسجم مع العنوان العام الذي وضع لها، حتى يسلم للباحث القول بهدف الوحدة، دون أن يعكس غلبه شيء، وفي هذا جناية على البحث (٢).

فلو افترضنا أننا قلنا عن موضوع (سورة الإسراء) بأن: "العنصر البارز في كيان السورة، ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف القوم منه في مكة" (٣)، وعبرنا عن هذا المحور الاجتهادي المستنبط بأنه (المحور الواحد)، فقلنا: "في تلك الموضوعات المنوعة حول ذلك المحور الواحد الذي بيّنا بمعنى سياق السورة في أشواط متتابعة" (٤).

قال تعالى في قصة إبليس و آدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٣٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي

(١) البيان القرآني: د. محمد رجب بيومي: ١٩٥.

(٢) ينظر: البيان القرآني: ١٩٥.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤: ٢٢٠٨.

(٤) المصدر نفسه: ٤: ٢٢٠٩.

كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَيْلِنَ أَحْرَتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِيكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٦﴾ قَالَ  
 اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٣٧﴾ وَاسْتَفْزَزَ مِنْ  
 اسْتَطْعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ  
 وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٨﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ  
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٣٩﴾ (١).

ث - التحقق والوقوع:

لو افترضنا أن الأدلة السابقة لم تكن نهضة لنفي الوحدة؛  
 فكيف أن نقوم بقراءة ذاتية لسور القرآن الكريم لنرى أن كثيرًا منها  
 يضم موضوعات من الصعب إدراجها تحت عنوان واحد، قال تعالى  
 في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ  
 الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ  
 مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾  
 يَوْمَ تُبْلَى السَّرَابِ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾  
 وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ  
 كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ (٢).

ومن ثم اعترف بعض المؤمنين بالوحدة الموضوعية في  
 السورة بصعوبة اكتشاف تلك الوحدة، فقال الدكتور: محمد عبد الله  
 دراز: "إن يصعب في بعض السور التمييز بين الفكرة الرئيسية،

(١) الإسراء: ٦١-٦٥

(٢) سورة الطارق



والأفكار الثانوية أو اكتشاف العلاقة بين هذه الأفكار بعضها مع بعض أو بينها وبين النواة المركزية للسورة<sup>(١)</sup>.

### - إثبات الوحدة الموضوعية:

ورأى آخرون أن السورة القرآنية الواحدة، قصيرة كانت أم طويلة تدور حول موضوع واحد، تندرج جميع آياتها فيه، ويجمع آياتها إطار واحد وجامع مع مشترك موحد (محور عام وسياق عام) تتوزع مقاطعها وفقه على موضوعات جزئية متفرعة منه، مما يستدعي قراءة السورة بعناية لاكتشافه والتعرف عليه، وبذلك يكون بينها (وحدة موضوعية) سُميت أيضًا بالوحدة المحورية فضلاً عن وجود الوحدة العضوية فيها، وقد استدلوا على ذلك بما يلي:

#### أ- الشتات الموضوعي أمر مستهجن:

الشتات الموضوعي يعني اتكاء الكلام على انتقالات فجائية من موضوع إلى موضوع، وذاك يحدث في ذهن المتلقي حالة من التشوش الذهني والنفسي.

والتفكير العميق في آيات السورة يقضي إلى أنها تتناول موضوعاً واحداً، وأن الكلام المفرق الذي لا ينظمه إطار واحد أمر

(١) المدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز: ١٢٢.

مستهجن ممجوج لدى المتلقي نَزَّه عنه كلام العاقل الحكيم من البشر، فضلاً عن كلام سيد الحكماء ورب العقلاء<sup>(١)</sup>.

ومن ثمّ فتناول سورة واحدة يعني تناول موضوع كامل عن طريقها، وأن القول يكون آيات السور تدور حول موضوعات شتى لا يربط بينها رباط موضوعي -تبعاً لاختلافها في زمن النزول والمناسبات والأحداث- أمر غير صحيح، ولهذا وقف هؤلاء مع التفسير والتدبر الكشفي؛ لأنه يكشف ويبيّن وحدة الموضوع في السورة القرآنية ويتناولها اعتماداً على هذا المعيار والأساس.

#### ب- توزيع الآيات في السور وفق وحدة الموضوع:

الوحي إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإعادة توزيع الآيات حسب السور؛ لأنه جمع رُوعي فيه كون آيات السورة تدور حول موضوع واحد؛ لذلك جاء الأمر الإلهي بتدوينها بهذه الطريقة لا حسب ترتيبها التاريخي الذي تعددت فيه الأزمان والأماكن والأحداث.

#### ت- التطبيق الفعلي لدى بعض الباحثين:

عندما فسّر فخر الدين الرازي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢٣.

مَكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(١)</sup>، ربطه بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّتَا غَافِلُونَ<sup>(٢)</sup> 》， و" كل من أنصف ولم يتعسف علم أننا إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة (فصلت) من أولها إلى آخرها كلاماً واحداً منتظماً مسوقاً نحو غرض واحد"<sup>(٣)</sup>.

وعندما تحدث أبو إسحاق الشاطبي عن أن للنظر في الآيات اعتبارين:

أحدهما: باعتبار تعدد القضايا فيها، وثانيهما: باعتبار النظم والترتيب التوقيفي الذي عليه السور في المصحف، قال: " وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات:

فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالإقتصار على بعضها فيه، غير مفيد غاية المقصود، كما أن الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما .. لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها، فسورة البقرة -مثلاً- كلام واحد باعتبار النظم واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بُثَّ فيها، منها ما هو

(١) فصلت: ٤٤

(٢) فصلت: ٥

(٣) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي: م ١٤: ج ٢٧: ١٣٥.

المقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال. وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك" (١).

وحيثما قام الدكتور: محمد عبد الله دراز بدراسة في سورة البقرة وبعض السور الأخرى، توصل إلى وجود روابط موضوعية، فقال: "الواقع أننا وجدنا أكثر مما كنا نتطلب من بحثنا، فقد كنا نبحث عمّا إذا كان هناك نوع من الترابط في الأفكار التي تتناولها السورة الواحدة، ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطاً حقيقياً واضحاً ومحددًا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية في السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسة، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة تقابل الديباجة" (٢).

(١) المرافقات في أصول الشريعة: ٣: ٤١٤، ٤١٥.

(٢) المدخل إلى القرآن الكريم: ١١٨، ١١٩.

### الموضوع الجلي والموضوع الخفي<sup>(١)</sup>:

غاية ما في الأمر أن الموضوع جلي واضح في بعض السور وخفي في بعضها الآخر. ومن السور القرآنية ذات الموضوع الواحد الجلي: (سورة المنافقون) التي تتناول موضوع المنافقين، ومن السور ذات الموضوع الذي يحتاج إلى سبر وإعمال عقل لاكتشافه (سورة الفاتحة)، فربما نتلمس أنها تتكلم عن موضوع علاقة الإنسان بالله سبحانه عن طريق زاويتين هما: الثناء والدعاء، وفي مجال الثناء تدرج الآيات التالية:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ ﴾ وفي مجال الدعاء تدرج الآيات التالية: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ حديث يوضح انقسامها إلى هذين القسمين يقول فيه: " قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي: فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل: إذا قال العبد: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال الله عز وجل بدأ باسمي، وحق علي أن أتم له أموره، وأبارك له في أحواله.

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٨٩: ٢٢٦، ٢٢٧، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف: ٤: ٢٧٠.

فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله جل جلاله: حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دافعت عنه فبتطولي أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة، كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قال الله عز وجل: شهد لي بأني الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرن من رحمتي حظه ولأجزلن من عطائي نصيبه.

فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله عز وجل: أشهدكم كما اعترف عبدي أني مالك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب حساباه، ولأقبلن حسناته ولأتجاوزن عن سيئاته.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قال الله عز وجل: صدق عبدي إياي يعبد، أشهدكم لأثبته على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله عز وجل: بي استعان وإلي التجأ، أشهدكم لأعينه على أمره ولأغيشه في شدائده، ولأخذن به يوم نوائبه.

فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، قال الله عز وجل: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، فقد استجبت لعبدي، وأعطيته ما أمل، وآمنته عمّا منه وجل.

وفي رواية أخرى أن الإمام الصادق عليه السلام قال لأبي حنيفة: " ما سورة أولها تحميد وأوسطها إخلاص، وآخرها دعاء؟ فبقي متحيراً ثم قال: لا أدري، فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: السورة التي أولها تحميد وأوسطها إخلاص، وآخرها دعاء ... سورة الحمد "(١).

وعن طريق العرض الأولي لسورة الفاتحة نصل إلى:

١. السورة المباركة ذكرت موضوع واحد هو العلاقة مع الله سبحانه.
٢. يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم للعبد وقبلة قسم لله سبحانه لذا يمكن تقسيمها إلى:
  ٣. قسم الحمد، قسم الإخلاص، قسم الدعاء.
  ٤. السورة المباركة تتحدث عن محورين هما: الثناء والدعاء عن طريق العلاقة مع الله سبحانه.
  ٥. العلاقة بين محوري الثناء والدعاء بوصف الله سبحانه الجامع للصفات الحسنة بوصفه الإله الرب، لذا الإنسان بحاجة أن يسأل الله سبحانه ويدعوه بالاستعانة بصفات الله سبحانه لغرض قبول الثناء واستجابة الدعاء.





# المبحث الثامن

## ألوان التفسير الموضوعي وخطواته

إذا كان هذا النوع من التفسير بحثًا وراء وحدات موضوعية هي ذوات محورية خاصة كان البحث عنها جميعًا أو أشتاتًا، بحثًا حسب الحاجة إليها... ومن ثم اختلفت وتنوعت ألوان هذا التفسير، فمنها المقتصر على مسائل فقهية مستنبطة من القرآن الكريم، ومنها المقتصر على مسائل الكلام أو الأخلاق أو السياسة أو الاجتماع ومنها المستوعب لكل المسائل ذوات التعلق بالحياة الحاضرة... ونحو ذلك<sup>(١)</sup>، غير أن المنهج الذي يسلكه المفسر هنا يختلف أساسًا في لونين:

قد يعمد إلى مواضيع طرحت بذاتها في القرآن الكريم، فيحاول المفسر استخراجها واستجلاء أبعادها وحدودها من القرآن الكريم.. وأخرى يعمد إلى مواضيع هي ضرورات الحياة الحاضرة

---

(١) ينظر: التمهيد في علوم القرآن: ١: ٥٢١.

فيعرضها على القرآن الكريم لغرض استجلاء نظرة القرآن الكريم بشأنها ومعرفة أبعادها وحدودها، منه بالذات<sup>(١)</sup>.

وقد رجح السيد: محمد باقر الصدر اللون الثاني، الذي هو: محاولة لفهم وصفة القرآن الكريم بشأن معالجة أدوات هي حاضرة الحياة، كما يترجح على النهج التفسيري العام الباحث عن مفاهيم القرآن الكريم حسب ترتيب السور والآيات؛ لأن المفسر الموضوعي لا يبدأ عمله من النص، بل من واقع الحياة، يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة الفكرية، أو الاجتماعية ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل وما قدمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ ثم يأخذ النص القرآني، لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع والمسجل فحسب، بل لي طرح بين يدي النص موضوعاً جاهزاً غني بعدد كبير من الأفكار والمواقف البشرية، ويبدأ مع النص القرآني حواراً (سؤال وجواب) المفسر يسأل والقرآن يجيب، المفسر على ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها عن طريق التجارب البشرية الناقصة، عن طريق أعمال الخطأ والصواب التي مارسها المفكرون على الأرض لا بد أن يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع، ثم يفصل عن هذه الحصيلة ليأتي ويجلس

(١) ينظر: التمهيد في علوم القرآن: ١: ٥٢١، ٥٢٢.

بين يدي القرآن الكريم، لا يجلس ساكتاً يستمع فقط بل يجلس محاوراً سائلاً، مستفهماً متدبراً، فيبدأ مع النص القرآني حواراً حول هذا الموضوع وهو يستهدف من ذلك أن يكشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح، والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص عن طريق مقارنة هذا النص لما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائماً بتيار التجربة البشرية؛ لأنها تمثل المَعْلَم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة، لذا فكانت عملية التفسير الموضوعي عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليس مجرد استجابة انفعالية بل استجابة فعالة وتوظيفاً هادفاً للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى<sup>(٢)</sup>.

قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن القرآن الكريم: " ذلك القرآن، فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء داءكم ونظم ما بينكم"<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: التمهيد في علوم القرآن: ١ : ٥٢١، ٥٢٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ : ٥٢٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٨.

التعبير بالاستنطاق الذي جاء في كلام الإمام أروع تعبير عن عملية التفسير الموضوعي بوصفها حوارًا مع القرآن الكريم وطرحًا للمشاكل الموضوعية بقصد الحصول على الإحاطة القرآنية عليها<sup>(١)</sup>.

إذن كانت وظيفة التفسير الموضوعي دائمًا في كل مرحلة وفي كل عصر أن يحمل المقولات التي تعلّمها خلال تجربته البشرية ليضعها بين يدي القرآن الكريم ليحكم عليها بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمه أو يستشفه أو يتبينه عن طريق مجموعة آياته الشريفة، لذا فهنا يلتحم مع القرآن الكريم كما يلتحم مع الحياة؛ لأن التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن الكريم بوصفه القيم والمرجع الذي يحدد الاتجاهات الربانية بالنسبة لذلك الواقع ... ومن هنا تبقى للقرآن الكريم حينئذ قدرته على القيمومة دائمًا، قدرته على العطاء المستجد دائمًا، قدرته على الإبداع كل آن؛ لأن القرآن الكريم عطاء لا ينفد ومنحة لا تنضب بل يجري كما تجري الشمس والقمر<sup>(٢)</sup>.

إذن هذا العطاء الدائم والمستجد في كل عصر وفي كل دور، هي هذه المعاني التي لا تنتهي للقرآن الكريم، والتي تكمن في هذا المنهج، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لأننا نستنتق القرآن الكريم، والقرآن الكريم يُجيب وإن فيه علم ما كان وعلم ما

(١) ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر: ١٩-٢١.

(٢) ينظر: التمهيد في علوم القرآن: ١: ٥٢٢.

يكون وفيه دواء دائنا ونظم ما بيننا وفيه ما يمكن أن نستشف منه مواقف السماء تجاه الأرض<sup>(١)</sup>.

### ألوان التفسير الموضوعي:

الأول: المصطلح القرآني أو المفردات القرآنية:

حيث يختار الباحث لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم ورد كثيراً في السياق القرآني، فيتبعه في السور والآيات، ويلحظ اشتقاقاته وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة ويستخرج منها الدلالات واللطائف والحقائق ومصطلحات القرآن الكريم التي تصلح لهذا اللون كثيرة، منها: السلم، والجهاد، والأمة، والعدل، والأمانة، والمنافقون، والجهل... وغيرها<sup>(٢)</sup>.

الثاني: الموضوع القرآني:

الذي يهتم بموضوعات القرآن الكريم بشكل عام حيث يختار الباحث أحد هذه الموضوعات وينظر في آيات القرآن الكريم التي عرضته ويستخرج منها الدلالات المختلفة التي لها أبعاد واقعية إصلاحية أو مجالات علمية تصورية أو آفاق تربوية مسلكية وللمسلمين المعاصرين حاجات ماسة إليه<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: التمهيد في علوم القرآن: ١: ٥٢٣.

(٢) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٤.

(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ٦٥.

عندما يختار الباحث موضوعه القرآني، يعلم أنه ببحثه له يقدم خدمة علمية وتربوية وثقافية ورعوية للمسلمين المعاصرين، ويساعد على حل مشكلاتهم ومعالجة أمراضهم، والنهوض بمستواهم مثل: نظام الحكم عن طريق القرآن الكريم، الظلم، والظالمون كما تحدث عنهم القرآن الكريم، طريق العودة إلى القرآن الكريم، الشخصية اليهودية عن طريق القرآن الكريم وغيرها<sup>(١)</sup>.

والفارق بين التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني و الموضوع القرآني، ففي المصطلح القرآني يبقى مع المفردة القرآنية التي اختارها ويتابع معناها في معاجم اللغة، واشتقاقاتها، وتصريفاتها في القرآن الكريم، ويلاحظ ما طرأ على وضع هذه اللفظة القرآنية من تغيرات في آيات القرآن الكريم ويحاول أن يعلل ذلك، ثم يستخرج لطائف ودلالات من سيره مع هذا المصطلح القرآني ويلتفت إلى الدلالات العامة ذات الأبعاد الواقعية التي تهم مسلمي هذا العصر<sup>(٢)</sup>.

أما التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، فإن البحث فيه أعم وأشمل وميدانه أوسع، ووقفاته الفكرية معه أكثر، ومعالجته الواقعية بحاجات ومشكلات أمته عن طريقه أوضح، فهو لا ينظر في الآيات القرآنية التي عرضت موضوعه فحسب، بل يستعرض الألفاظ

(١) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٥.

الأخرى القريبة منها، والآيات التي عرضت موضوعات تتصل به، أو تساعد على توضيحه، ويتوسع في هذه الجوانب على حساب التحقيقات اللغوية والبيانية واللطائف البلاغية والأسلوبية<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:

وهذا النوع يعمد فيه المفسر " إلى سورة من سور القرآن الكريم وينظر إليها نظرة كلية من أولها إلى آخرها، فيبين أغراضها الخاصة والعامة، ويربط الموضوعات التي ذكرت فيها بعضها ببعض ويسلسل موضوعات السورة بشكل متماسك متكامل؛ لأن السورة الواحدة في الحقيقة قضية واحدة تسعى إلى غرض واحد، وإن اشتملت على عديد من المعاني"<sup>(٢)</sup>.

**خطوات السير في التفسير الموضوعي<sup>(٣)</sup>:**

أولاً: الخطوات العامة:

هذه الخطوات تشترك فيها الألوان الثلاث السابقة الذكر ولا بد من الالتزام في كل لون منها:

١. تسجيل الأهداف الخاصة التي ينوي الباحث تحقيقها عن طريق بحثه، فلكل بحث منهجه وبواعثه الخاصة به.

(١) ينظر: التفسير والتأويل في القرآن، صلاح الخالدي: ٥٢، ٥٣.

(٢) علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٥.

(٣) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٥-٣٧٠.

٢. تحديد المشكلات التي سيعالجها والحاجة الضرورية المعاصرة إليها.

٣. التأكد أن غيره من الباحثين لم يكتبوا في هذا البحث وبنفس الطريقة العلمية المنهجية. والاطلاع على كل ما له صلة ببحثه القرآني من كتب تفسير أو كتب أخرى؛ لأنها ستثري بحثه وتفيده أثناء الصياغة.

٤. أن يتجرد من التعصّب المذهبي والعقائدي قدر الاستطاعة وألا تكون لديه فكرة مسبقة يريد تأييدها عن طريق البحث.

ثانياً: خطوات كتابة المصطلح القرآني:

١. مرحلة البحث والجمع:

في هذه المرحلة يختار الباحث المصطلح الذي يريد البحث فيه وليكن على سبيل المثال: الجهاد في القرآن الكريم ثم يعيد المصطلح إلى جذره الثلاثي (جهد) ثم يستخرج من المفاهيم اللغوية الأساسية معنى هذا الجذر ثم متابعتة واشتقاقاته في السياق القرآني بالاستعانة بالمفاهيم التي فهرست ألفاظ القرآن الكريم مثل: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، ويقوم الباحث بعملية إحصائية لهذا الجذر ومشتقاته على اختلاف اشتقاقاته وتصريفاته، ثم ربط المعنى اللغوي بالمصطلح القرآني وربطه كذلك مع السياق الذي ورد فيه، وتناسب هذا المصطلح مع



الآية القرآنية، وفي تركيب حروفه وحركاته وتأثيره على المعنى، ثم يرتب الباحث الآيات القرآنية على حسب النزول المكّي منها والمدني، وبعدها يستخرج اللطائف والدروس والعبر من محصلة بحثه بالاستعانة بكتب التفسير السابقة وكل كتاب له علاقة بالمصطلح.

## ٢. مرحلة الصياغة:

بعد جمع المادة التفسيرية وإلقاء نظرة منهجية علمية واختيار عناوينها الرئيسي، واختيار عناوينها الفرعية، يبدأ الباحث بوضع مخطط منهجي مقسم إلى فصول ومباحث، ويوزع المادة التفسيرية على هذه الفصول والمباحث، ثم يقوم بصياغة وكتابة كل فصل على حدة بأسلوب سلس خالي من الأغلاط على مختلف أنواعها، ولا ينتقل إلى الفصل الثاني قبل الانتهاء من السابق، ويحرص على كتابة اللغتان في مواضعها وتوظيفها في معالجة المشكلات المعاصرة، ووضع الدواء الناجح لها، ولابدّ من مراعاة المنهج العلمي المتعارف عليه في كتابة البحوث من حيث التوثيق وكيفية استعمال الهوامش وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث وتشكيل الكلمات واستعمال علامات الترقيم وما شابه ذلك.

ثالثاً: خطوات كتابة الموضوع القرآني<sup>(١)</sup>

لعل هذا اللون أهم ألوان التفسير الموضوعي، يعمد الباحث بعد اختيار الموضوع القرآني الذي تحدث عنه القرآن الكريم بشكل واسع إلى تسجيل الأسباب التي دفعته للكتابة في هذا الموضوع أو الأهداف التي ينوي تحقيقها والمشكلات التي يمكن معالجتها عن طريق موضوعه، ويضع لها خطة بحث متكاملة الفصول ثم يقوم بجمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع، بشكل مباشر أو قريبة منها أو لها اتصال بالموضوع، والكتب التي كتبت قريباً من ذلك مع اتباع الخطوات التالية:

١. معنى الموضوع في اللغة:

فيستخرج معاني الألفاظ الواردة في الآيات ذات الصلة بالموضوع من أمهات معاجم اللغة، ويبين الصلة بين هذه الألفاظ المقاربة ويربط بينها وبين الموضوع الذي يبحثه.

٢. معنى الموضوع في السياق القرآني:

بذكر اشتقاقات الموضوع، وعدد مرات وروده في القرآن الكريم ومعناها ويسجل كل ماله علاقة بالآيات من أسباب نزول ونسخ وقراءات، والمكي والمدني، والتدرج فيها، وغير ذلك

(١) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٧، ٣٦٧.

وتسجيل ما ورد في تفسير الآيات من أقوال مأثورة بالاستعانة بكتب التفسير.

٣. الظرف الذي نزلت فيه الآية أو الآيات ذات العلاقة.
٤. لا يفوت الباحث بيان الأبعاد المعاصرة للآيات وتنزل هذه الآيات على الواقع المعاصر لحل المشكلات.
٥. نقض الشبهات والأباطيل إن وجدت بالدليل والحجة.
٦. استخلاص الدلالات والعبر ذات البعد الاجتماعي والإنساني المعاصر، مستعيناً بالدراسات والأبحاث القرآنية ذات الصلة بالموضوع.
٧. يمكن الاستعانة بالأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة ذات العلاقة بالموضوع والقصص القرآنية ذات الصلة.
٨. يقوم الباحث أخيراً بصياغتها حسب منهجية البحث المتعارف عليها.

## خطوات كتابة تفسير السورة القرآنية<sup>(١)</sup>:

يقوم الباحث بعد اختيار السورة القرآنية بتقديم تمهيد لها يذكر فيه:

١. موقع السورة من القرآن الكريم، الاسم التوقيفي لها، أو الأسماء وسبب تسميتها بهذا الاسم أو الأسماء، وبيان الصلة بين أسماء التوقيفي وبين موضوعها العام.
٢. ثم الأسماء الاجتهادية التي قد يكون بعض العلماء أطلقوها على السورة.
٣. زمان ومكان نزول السورة بذكر أسباب النزول إن أمكن وأماكن نزولها وهل آياتها كلها مكية أم مدنية أم مختلفة وتقليل ذلك.
٤. جو نزول السورة وملامح الجماعة المسلمة عن طريقها، هل كان نزولها في مرحلة بدء الدعوة أو المتوسطة أو المتأخرة، في مرحلة الضعف أو القوة استجابة المؤمنين للتوجيهات القرآنية وهكذا يمكن الاستعانة بما كتبه المفسرون السابقون.
٥. يحدد الباحث أهداف السورة الأساسية ومقاصدها الرئيسة.
٦. شخصية السورة وموضوعها الأساس بذكر أهم الخطوط الرئيسة لها ومحاورها وربط هذه المحاور مع العمود الفقري للسورة والاستشهاد على ذلك بآيات قرآنية لها علاقة بها.

(١) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٨.

٧. ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها من السور من حيث التناسب وتقسيم السور الطويلة، أو المتوسطة إلى أقسام أو وحدات أساسية وبيان الصلة بينها.

٨. الدروس والعبر وما يستفاد من السورة من مواعظ حسب تقسيمها إلى وحدات.

٩. لطائف السورة واستخلاص أهم دقائقها والدلالات التي تقررها وكيف تعالج مشكلات الإنسان المعاصر.

### توجيهات إيجابية في التفسير الموضوعي:

١٠. الالتزام التام بعناصر القرآن الكريم وعدم الخروج إلى موضوعات أخرى؛ لأن الدراسة قرآنية.

١١. عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة تكون شارحة ومفسرة للآيات القرآنية.

١٢. على الباحث الاستعانة بكتب التفسير الموثوقة والابتعاد عن الروايات الضعيفة.

١٣. تجنب الحشو والتطويل في الكلام؛ لأن الباحث غايته بيان مراد الله سبحانه في قضايا ومسائل موضوعة.

١٤. مراعاة خصائص القرآن الكريم البيانية والأسلوبية والتعبيرية ولا يجوز لأي باحث تجاوزها ومخالفتها.



# المبحث التاسع

مميزات التفسير الموضوعي ومشكلاته وأهم العقبات التي تواجهه

يتميز التفسير الموضوعي بالعديد من الأمور عن غيره من أنواع التفاسير والذي يُذكر منها أن التفسير الموضوعي<sup>(١)</sup>:

١. قائم على تفسير القرآن بالقرآن مما ذكر مختصراً في مواضع من كتاب الله تعالى وذكر في مواضع أخرى مفصلاً وما أفاد التقييد في موضع جاء في موضع آخر مجملاً.
٢. سبيل للتعلم في آيات القرآن الكريم واستنباط أسرارها والوقوف على المواضيع الكثيرة التي تناولتها الآيات بما يُظهر عظمة القرآن الكريم وغنى آياته وسوره.
٣. سبيل للتعرف على سنن الهداية الإلهية للخلق، عن طريق النظر في مواضيع آيات القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد عبد الله الزهراني:

٤. تحقيق لزيادة الإيمان في النفس وذلك حينما يتحلى المسلم بما تدعو إليه آيات كتاب الله تعالى من مكارم الأخلاق وغيرها من الأمور الحسنة.
٥. سبيل للفهم العميق لآيات القرآن الكريم.
٦. وسيلة للتعرف على ما اشتملت عليه آيات القرآن الكريم من الأساليب البديعية المتنوعة.
٧. تصنيف لآيات القرآن الكريم وفق المواضيع المشتركة بينها بما يحقق الدراسة الموضوعية المتكاملة للقرآن الكريم.
٨. تمكين الباحث من الرد على ما يُثار من الشبهات حول مواضيع آيات القرآن الكريم.
٩. دفع لشبهات التعارض بين مدلولات آيات القرآن الكريم؛ وذلك بالتوفيق بينها توفيقاً منهجياً سليماً.
١٠. تمكين الباحث من الاطلاع على الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة التي تتعلق بموضوع الآيات، وكذلك التعرف على منهج المفسرين قديماً في استنباط المواضيع في القرآن الكريم مع تدوين المناقشات العلمية لعلماء الأمة والاطلاع على



ما كُتِب من أبحاث لغوية أو فقهية بما يفيد الباحث في منهجيته ويُيسِّر عليه الوصول إلى هدفه دون عراقيل أو صعوبات<sup>(١)</sup>.

١١. إسقاط للحقائق والإرشادات التي يتم التوصل إليها على واقع الأمة وبما يُحقق الربط بين ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها.

١٢. تمكين الباحث من الإحاطة الكاملة بمواضيع القرآن الكريم وبما يجعله قادرًا على توضيح العلل والأسباب وراء الأحكام والتشريعات بشكل متبع للمتلقي مع تمكين الباحث من الوصول إلى المواضيع المتعددة التي يشتمل عليها كتاب الله تعالى بسهولة.

ويذهب السيد الصدر إلى القول باشمال التفسير الموضوعي على المزايا التالية<sup>(٢)</sup>:

١٥. التوظيف المنهجي الهادف للنص القرآني:

حصيلة التفسير التجزيئي (الترتيب) للقرآن الكريم كله تساوي على أفضل تقدير مجموعة مدلولات القرآن الكريم ملحوظة بنظرة تجزيئية أي أننا سوف نحصل على عدد كبير من المعارف

---

(١) ينظر: أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة، أ.د. أحمد عبد الكريم الشوكة، د.ط، د.ت.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم، الأساليب والاتجاهات. محمد عباد: دهيني، مقال نُشر بتاريخ ٢٢: ١٢: ٢٠١٧م على الموقع الإلكتروني:

والمدلولات القرآنية، ولكن في حالة تناثر وتراكم عددي دون أن نحدد في نهاية المطاف نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة فهناك تراكم عددي للمعلومات إلا أن مجموع هذه المعلومات والذي يحولها إلى مركبات نظرية ومجاميع فكرية، وإن كان يحصل أحياناً ولكنه ليس هو المستهدف بالذات في منهج التفسير التجزيئي.

ليس المراد من هذا الكلام أن مؤدى الآيات القرآنية لا يتحلى إلا عن طريق التفسير الموضوعي بل المراد أن نظرية القرآن الكريم بشأن مختلف الموضوعات التي تظهر مع تقدم الزمن مسألة جديدة ولا يمكن فهمها إلا عن طريق هذا المنهج. وإلا فإن كثير من الآيات القرآنية واضحة الدلالة في ظاهرها ولا تحتاج إلى التفسير الموضوعي من قبيل: الآيات المتعلقة بالصلاة، والزكاة، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحدود، والقصاص، والتلاوة، والتدبر في القرآن الكريم كما ذكر ذلك السيد: الصدر في موضع آخر حيث يقول:

"من هنا كانت عملية التفسير الموضوعي عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليس مجرد استجابة سلبية، بل استجابة فقال وتوظيفاً هادفاً للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى".

١٦ . الحيوية:

إن التفسير الموضوعي يتجاوز التفسير التجزيئي (الترتيبي) فخطوة لأن الأخير يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية الكريمة بينما التفسير الموضوعي يطمح إلى أكثر من ذلك فهو يتطلع إلى ما هو أوسع من ذلك، ويحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية ويحاول أن يصل إلى مركب نظري قرآني ويحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب.

١٧ . الموضوعية أو التوحيدية:

إن اصطلاح المنهج الموضوعي والتوحيدي هنا باعتبار أنه يوجد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم بمعنى أنه يوجد بينها في سياق بحث واحد، لكي يستخرج المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية التي أدخلها في سياق بحثه.

قال السيد الشهيد في موضع آخر ما مضمونه: إن المراد من هذا التفسير تكمن في التجارب البشرية، وكلما كانت هذه التجارب أكثر كان التفسير أغنى وأثرى.

إن التفسير الموضوعي يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية ويستوعب ما

أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل ليأتي ويجلس بين يدي القرآن الكريم.. فيبدأ مع النص القرآني حوارًا حول هذا الموضوع وهو يستهدف من ذلك أن يكشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الكلام إنما يصح بالنسبة إلى الموضوعات التي تتغير مع تقدم الزمن ولم يسبق أن كانت موجودة في السابق فتكون التجارب البشرية مؤثرة في فهمها دون الموضوعات التي تتخطى التجارب البشرية، وقد سبق أن أشبعت بالتحقيقات الوافية من قبيل الآيات المرتبطة بالله سبحانه وصفاته، والحياة بعد الموت، ومعاجز الأنبياء، أو آيات الأحكام التي لا خلل في التجارب البشرية في فهمها خلافًا لمباحث من قبيل تلك التي تتحدث عن المجتمع والتاريخ والتي يمكن لنا أن نفهم

١٨. الطريق الوحيد للحصول على النظريات الأساسية للإسلام أن يبان النظريات الأساسية في الشريعة الإسلامية أصل ضروري يمكن الاستغناء عنه، فهذا هو الطريق الوحيد للحصول على النظريات الأساسية للإسلام.

الآيات القرآنية في ضوءها فهمًا أفضل وتفتح أمام المفسر آفاقًا أوسع وأرحب.

## مشكلات التفسير الموضوعي:

أخطاء تلحق التعريف الصحيح<sup>(١)</sup>: الملاحظ أن عدم إعطاء تعريف دقيق للمراد بالتفسير الموضوعي فتح المجال أمام إدراج بعض أنواع تفسير القرآن الكريم أو لبعض المعارف المتعلقة بالقرآن الكريم تحت لواء التفسير الموضوعي. ومن الأمثلة على ذلك المؤلفات الآتية:

- ١ . تفسير السور المكية للدكتور: محمد البهي.
- ٢ . إمعان النظر في نظام الآيات والسور، لمحمد الهندي.
- ٣ . الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور: محمد حجازي.
- ٤ . النسخ في القرآن الكريم لمجموعة من المؤلفين.

ويتضح من هذا أن إدراك المعنى المفهومي، أو ما يصطلح عليه عند الأصوليين بمفهوم الوصف، يعني من الخلط بين هذا العلم وبين غيره ولعل عدم الدقة في تفسير معاني علم من العلوم يخلق نوعاً من الضبابية، ويرسم ملامح الغموض والإبهام، ومن ثم يُدرج علم ضمن علوم أخرى، لمجرد وجود نوع من المشتركات سواء لغوية أو مفهومية، والملاحظ أنها مجرد دراسات قامت بتجميع العديد من القضايا التي هي من التفسير التجزيئي.

(١) ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي ، عبد الستار فتح الله سعيد : ٥٨

وكان الملاحظ فيها هو التشابه وليست من التفسير الموضوعي الذي يقتضي ضمن خصوصياته الأصلية وحدة في الموضوع وقرآنية الموضوع بشكل كامل وتام.

### أخطاء تلحق مراحل اختيار الموضوع:

أ- خروج بعض المواضيع أو المناهج عن دائرة النظرية القرآنية: إتباع التفسير الموضوعي لا يعني أن يأتي المفسر بكل موضوع خارجي من العلوم التي يتم ابتكارها أو اكتشافها يوماً بعد يوم، ثم يحاول أن يجعلها قرآنية، بحيث يسقط عليها مدلول الآيات، ثم يدعي في النتيجة أنها ضمن البُعد الشمولي للقرآن الكريم، فالكتاب المبارك منهج ديني إلهي وليس من شأنه الخوض في تفاصيل وجزئيات العلوم البشرية رغم أنه قد ذكر العديد من الحقائق العلمية والتي استطاع العلم اليوم تأكيدها أو بعضها، ولعل البعض قد أخذتهم الحماسة أو لشغفهم بدعوة الناس إلى الإيمان بالقرآن الكريم، ومن ثمَّ الحديث عن القدرة الإلهية، فأخذوا يسقطون الآيات القرآنية على بعض الظواهر الكونية أو العلمية<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٥٩.

ب- الذهاب إلى اختيار موضوع كلي بحيث لا يوجد نظر محدد حوله:

كأن يختار التقوى، فالتقوى موضوع شامل لمواضيع أخرى ولا يمكن إدراك الرابط الكوني أو الروحي بينها وبين الرزق مثلاً. أو بينها وبين العلم حيث لا يمكن استخلاص نظرية لمفهوم جميع الآيات الناطرة إلى هذا الموضوع<sup>(١)</sup>.

ت- عدم تحريف الهدف:

إذ لا يكفي في مجال التفسير الموضوع الإقرار أن الهدف الصرف هو توضيح جميع جوانب الموضوع أو أن المسألة علمية صرفة أو نحوها، بل لابد أن يكون الموضوع ضمن المبتلى به من أطراف المجتمع المسلم، أو المجتمع البشري بشكل عام، ويكون مساهماً في هداية البشرية؛ لأن القرآن الكريم هو كتاب هداية وليس مجرد كتاب نظريات علمية أو نحوها، بل المراد باستخلاص النظرية القرآنية إيجاد حل لمعضلة بشرية<sup>(٢)</sup>.

ث- اختيار موضوع مع وجود أفكار مسبقة وتصور ذهني أولي:

في إطار التفسير الموضوعي لا يقبل من المفسر أن تكون له نظرة مسبقة لموضوع من المواضيع ثم يأتي إلى القرآن الكريم

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ٦٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦١.

محاوياً إيجاد سند وشاهد شرعي على تلك الأفكار والتصورات؛ لأن هذا يعني في حقيقة جر القرآن الكريم لكي يكون حجة على أفكاره ونظرياته، ومن ثمَّ يسعى إلى تحميل القرآن الكريم ما ليس له به علاقة أو ربما تكون العلاقة عكس ما ذهب وهذا يدخل في اصطلاح علوم القرآن الكريم ضمن التحريف المعنائي للقرآن الكريم، وقد سعى البعض لكي يثبت أن اليهود والنصارى مؤمنون بالمعنى القرآني، فاستخرج آيات حول الموضوع جعلها في صورة المؤيد لمذهبه<sup>(١)</sup>.

#### ث - عدم اختيار الاسم الجامع:

كأن يختار المفسر الحرب والصلح في القرآن الكريم أو ألفاظاً أخرى نحو: الحرب، القتال، الضرب، الثبات، السلام، الهزيمة، الفرار ... والمفروض اختيار العنوان الشامل لكل هذه العناوين الصغيرة، فيكون الأولى اختيار عنوان (الجهاد في سبيل الله) ليكون الموضوع المحور وبعدها يضم إليه المشتركات اللفظية والمعنائية أو ما يقرب للمعنى المشتق من عناوين أخرى<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ٦٢.

(٢) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٦٠.



### ج- إغفال العناوين المتنوعة:

لكثيراً ما تكون مواضيع في القرآن الكريم لا يوجد لها في حد ذاتها اسم، لذا لا بد من انتزاع اسم لها من ألفاظ قرآنية قريبة لها، على سبيل المثال:

إن القرآن الكريم تحدث عن موضوع ظهور الأمم والحضارات وطغيانها ثم هلاكها، وذلك عن طريق سور متعددة وأساليب مختلفة، ولعل أقرب عنوان يعكس حقيقة هذه الظاهرة (السنن الإلهية في ظهور الأمم وذهابها)، وذلك لأن لفظ السنن أقرب الألفاظ القرآنية التي تشمل هذه الظاهرة ولا بد من التأكيد على أن يكون اللفظ المنتزع قرآنيًا بالجملة ومشتقًا من الألفاظ القرآنية، بحيث لا يكون دخيلًا على ألفاظ القرآن الكريم أو غريبًا عنها أو العدول عن المشترك اللفظي القرآني لاختيار آخر خرج عن القرآن الكريم لمجرد انبهار المفسر بتلك العناوين كالذي يستبدل عنوان الشورى والذي هو لفظ قرآني بعنوان الديمقراطية في القرآن الكريم مع وجود فرق موضوعي بين اللفظين لكن لوجود تقارب معنائي يستعمل المصطلحات القريبة يدل الشورى<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٦١.

## عقبات تواجه التفسير الموضوعي<sup>(١)</sup>:

يواجه المفسر في طريقه ثلاث عقبات مهمة:

١. ليس التفسير الموضوعي بأن تجعل فهارس الآيات أمامك وتجمع الآيات التي ورد فيها ذكر لكلمات المواضيع التي نريد البحث فيها مثل: الجهاد والتقوى، لأن كثير من الآيات تتكلم حول هذه المواضيع بدون أن تُذكر فيها كلمة التقوى أو الجهاد، ولا بأس هنا أن نذكر مثلاً واحداً، نحن نعلم أن الله سبحانه (رحمان) و(رحيم) و(أرحم الراحمين) وهذا المعنى وارد في كثير من آيات القرآن الكريم، ولكن توجد آيات تبين هذه الحقيقة دون استعمال مادة (رحم)، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup> ونفس هذا المعنى مع اختلاف يسير ذكر في الآية ٤٥ من سورة فاطر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هاتان الآيتان تشيران إلى رحمة الله تعالى ولطفه المطلق على عباده من غير أن تستعمل مادة (رحم) في الآيتين.

٢. عقبة متمثلة في مشكلة جمع الآيات وأخذ النتيجة منها، فهذه العملية تحتاج إلى دقة وظرافة وذوق، ووحى كمال وإحاطة تامة

(١) نفعات القرآن: ١٨.

(٢) النحل: ٦١

بالآيات القرآنية الكريمة والتفاسير، وعندما تكون الآيات المرتبطة بموضوع ما كثيرة ويكون لكل منها بُعداً خاصاً بها وأن الجمع سيكون أكثر تعقيداً.

٣. فضلاً عن ذلك فإن التفسير الموضوعي لا يزال يخطو خطواته الأولى ولم يُبذل في هذا النطاق جهد وسعي حثيث بسبب قلة الأبحاث العلمية التابعة له، وهذا يجعل الأمر أكثر صعوبة وتعقيداً بالنسبة للمبتدئين ويختلف كثيراً عن التفسير المعتاد والمتبع منذ نزول القرآن الكريم.

٤. إن موضوعات القرآن الكريم هذا الكتاب الإلهي العظيم لا حُدَّ لها ولا حصر، ففيه المسائل العقائدية والعلمية وفيه المسائل الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وآداب العشيرة، وأحكام الحرب، والسلم، وتاريخ الأنبياء، وأمور الكون كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وفي كل واحد من هذه الأمور موضوعات كثيرة بحثها القرآن الكريم، ومناقشة كل هذه المسائل تحتاج إلى وقت طويل وصدر واسع.

وأحياناً تبحث الآية الواحدة في التفسير الموضوعي أبحاثاً عدة من جهات مختلفة وفي كل بُعد من أبعادها يجب بحث فصل خاص به في حين تفسير آية في التفسير الترتيبي تفسيراً واحداً فقط.

لماذا لم يتطور هذا النوع من التفسير؟<sup>(١)</sup>

يبدو أن جواب هذا السؤال قد اتضح من الأبحاث السابقة فالمشكلات الكثيرة التي تواجه التفسير الموضوعي قد منعت من تطوره خاصة وأن التفسير الموضوعي يحتاج إلى مفاهيم دقيقة وجامعة بحيث يمكن استخراج الآية منها بسهولة ولم تكن توجد في السابق ولكنها اليوم بحمد الله تعالى في متناول الأيدي، لذا فمن الجدير بالذكر ما جاء في مقدمة المعجم المعروف بـ(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) حيث قال مؤلفه: "إن المتقدمين اهتموا كثيراً بالعلوم القرآنية ولكن لم يهتموا بإعداد معجم دقيق لتعيين آيات القرآن الكريم، والسبب في ذلك أن أغلبهم كان من حفظة القرآن" ولا نعلم مدى صحة هذا الرأي ولو افترضنا كون الإنسان حافظاً للقرآن الكريم فهذا لا يجعله مستغنياً عن المعجم الذي هو وسيلة لا بد منها من أجل تسهيل عملية التفسير الموضوعي، وهذا العمل لم يتم في السابق إلا بنحو ناقص ودون الطموح أحياناً ولا بد من الإشارة إلى مسألة هنا وهي أن جمعاً من المفكرين العرب

(١) نفحات القرآن: ١٩، ٢٠.

مميزات التفسير الموضوعي ومشكلاته وأهم العقبات التي تواجهه..... ١٥١

والأجانب والمحبين للقرآن المجيد بذلوا جهوداً من أجل إعداد مفاهيم لهذا الكتاب السماوي المقدس، ومن نماذجها المعتمدة كتاب (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) إعداد المستشرق الألماني (فلوكل) وتأليفات أخرى قام بها المسلمون مثل (مفتاح القرآن) و(فتح القرآن) فإن هؤلاء هم الذين مكّنوا المؤلف من إعداد هذا المعجم الفني البديع وجعله في متناول أيدي علماء الإسلام.

لذا فعلى الرغم من جميع المشكلات والمعوقات الموجودة في طريق التفسير الموضوعي، فإن معطاته كثيرة بالأخص للعلماء والمحققين حيث تنكشف لهم في ضوءه الحقائق التي تزيدهم إيماناً وقوة ونشاطاً لمواصلة العمل وتؤجج في قلوبهم نار الشوق والمحبة حيث أن مثل الآية القرآنية عندما تتحدث حول موضوع ما لو حدها كمثل النقطة التي إذا اجتمعت مع نقاط أخرى وكوّنت شكلاً جذاباً وصورة بديعة لم تكن موجودة من قبل، وهذا أمر مهم جداً ويبحث على النشاط.

إذن فما هي المشاكل التي يمكن حلّها بواسطة التفسير

الموضوعي؟

إن كثير من آيات القرآن الكريم تتناول بُعداً واحداً من أبعاد موضوع ما، فمثلاً فيما يخص (الشفاعة) فقد ورد في بعض الآيات أصل إمكان الشفاعة وفي البعض الآخر (شروط الشفاعة) في (سبأ:

(٢٣) و(مريم: ٧٨) وفي بعضها شروط (المشفع لهم) في (الأنبياء: ٢٨) و(غافر: ١٨)، وفي بعض آخر تنفي الشفاعة عن الجميع ما عدا الله تعالى (الزمر: ٢٤) وفي بعض آخر تثبت الشفاعة لغير الله تعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

لذا نجد حالة من عدم الوضوح تحيط بأمور الشفاعة بدءاً من حقيقة الشفاعة وحتى سائر الشروط والخصوصيات الأخرى، ولكن عندما نأخذ آية الشفاعة من القرآن الكريم ونضعها بجانب بعضها البعض ونفسرها على ضوء بعضها البعض يرتفع هذا الغموض ويحل الإبهام على أحسن وجه، كذلك الآيات المتعلقة بالجهاد، أو فلسفة أحكام وتعاليم الإسلام، أو آيات متعلقة بالبرزخ وكذا موضوع علم الغيب، وهل أن العلم بالغيب ممكن لغير الله تعالى أم لا؟ فلو وضعت آيات كل موضوع في جانب فمن الممكن أداء حق هذا الموضوع وحل الإشكالات الموجودة عن طريق التفسير الموضوعي.

وعليه فإن الآيات المتعلقة بـ(المحكم) و(المتشابه) والتي تدعو لتفسير (المتشابهات) بالاستعانة (بالمحكمات) يُعد نوعاً من التفسير الموضوعي فيبدو عن طريق تفسير الآيات المتعلقة بموضوع ما بالاستعانة بالآيات الأخرى تنبثق عنها معارف وعلوم جديدة، هذه

مميزات التفسير الموضوعي ومشكلاته وأهم العقبات التي تواجهه..... ١٥٣

العلوم تكمن فيها معارف القرآن الكريم والحلول للكثير من المعضلات العقائدية وأحكام الإسلام.

من هذا الباب يمكن تشبيه آيات القرآن الكريم بالكلمات المتفرقة حيث إن لكل منها مفهومًا ذاتيًا، ولكن حينما ترتب وتجمع في جمل مفيدة تُعطي مفاهيم جديدة.

أو تشبيهها بالعناصر الحياتية مثل (الأوكسجين) و(الهيدروجين) التي حينما تتفاعل مع بعضها ينتج عنها الماء الذي هو عنصر حياتي آخر بل هو أصل الحياة كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾<sup>(١)</sup>، فلولا اتحاد أكثر من عنصر لما حصلنا على الماء، كذلك جمع الآيات المتناثرة في القرآن الكريم ذات الصلة بموضوع واحد، كما هو شأن التفسير الموضوعي.





# المبحث العاشر

## مجالات التفسير الموضوعي

اختلف الباحثون كثيرًا في مجالات التفسير الموضوعي:

- فقصرها أحدهم على مجال واحد هو: دراسة الموضوع في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.
- وقصرها آخرون على مجالين اثنين هما: الموضوع، والمصطلح (المفردة)<sup>(٢)</sup>.
- وقصرها ثالث على مجالين اثنين أيضًا هما: الموضوع والسورة<sup>(٣)</sup>.
- وعدها بعضهم ثلاثة هي: الموضوع، والمصطلح، والسورة<sup>(٤)</sup>.
- ورآها فريق آخر ثلاثة أيضًا هي: الموضوع، والمصطلح، والأداة.

---

(١) المدرسة القرآنية: ١٢، ١٣.

(٢) المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٢٤.

(٣) منهجية البحث في التفسير الموضوعي: ١٤.

(٤) ينظر: التفسير الموضوعي: النأصيل والتمثيل: ١١٤.

• والبعض الآخر مدها إلى أبعد حد وهي ستة: الموضوع، المصطلح، الأداة، السورة، الموضوع في سورة، المقالة التفسيرية<sup>(١)</sup>.

وسنوضح هذه المجالات الواحد تلو الأخرى حسب أهميتها في الدراسة التفسيرية.

### ١. المصطلح<sup>(٢)</sup>:

أي دراسة (موضوع) عقائدي أو أخلاقي أو اجتماعي أو فقهي أو كوني أو غير ذلك ... على طول القرآن الكريم، كالتوحيد، أو التواضع، أو الزواج، أو الزكاة، أو الأرض، أو المال.

### ٢. المصطلح (المفردة)<sup>(٣)</sup>:

وهو دراسة (مصطلح) أو (مفردة) في القرآن الكريم كأن نبحث عن معنى (النعمة) أو (الشرك) أو (الحرج) أو (الصوم) أو (الشهادة) أو (السماء) أو غيرها من المفردات أو المصطلحات الأخرى في القرآن الكريم.

و"الموضوعات المتصلة بدراسة الألفاظ كثيرة، فمنها: ما يدرس الألفاظ من جانبها المعنوي وثباتها على معانيها أو اتساع هذه

(١) التفسير الموضوعي: التأسيس والتمثيل: ١١٤.

(٢) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٢٥.

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي: التأسيس والتمثيل: ١٤٨، ١٤٩.

المعاني أو تحولها إلى معانٍ أُخرى، وكذا دراسة الألفاظ من جانب علاقتها بمدلولاتها، أو علاقة مباني الألفاظ بمعانيها، يزداد على هذه الجوانب: جانب تعقب معاني الألفاظ عبر عصور اللغة المعتمدة وما حلَّ بطائفة منها من تطور<sup>(١)</sup>.

ومن الكتب القديمة التي اهتمت بمعاني القرآن الكريم:

أ- مفردات القرآن للحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصفهاني الذي رتب كتابه فصولاً حسب الحروف الهجائية التي ترجع بجذور الكلمات القرآنية (أصول الكلمات)، وقد أطلق على كل فصل اسم كتاب: (كتاب الألف، كتاب الباء، كتاب التاء... إلى كتاب الياء) وفي كل فصل يذكر الكلمات المبدوءة بذلك الحرف مع عرض الآيات الشاهد على ذلك المعنى.

ب- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للشيخ: الحسن بن محمد المعروف بالدامغاني، وهو الآخر كذا رتب الكلمات حسب الترتيب الهجائي فجذورها اللفظية وفي كل جذر يذكر المعاني التي استعملها القرآن الكريم له مستدلاً بذلك على آيات قرآنية.

(١) التفسير الموضوعي: التأصيل والتمثيل: ١٤٩.

٣. الأداة<sup>(١)</sup>:

هناك أفعال وأسماء وحروف لها أثرها الإعرابي أو المعنوي أو الاثنين في المفردة أو الجملة، وبعضها لا عمل نحوي له، وإنما يقتصر على التأثير المعنوي ويمكن أخذ واحد منها وتبعه في القرآن الكريم لمعرفة ذلك فيه.

- من الأفعال: الأفعال الناسخة (كان وأخواتها) وأفعال القلوب (ظن وأخواتها)، وأفعال المقاربة (كاد وأخواتها).
  - من الأسماء: أسماء الشرط (مَنْ، مهما، كيفما...) وأسماء الاستفهام (مَنْ، كيف، إيان...).
  - من الحروف: الحروف الناسخة (إنَّ وأخواتها)، والحروف الناصبة للفعل المضارع (أن، لن، كي، إذن) وحروف الجر (من، في، عن...) وحروف الجزم (لم، لما، لا الناهية، لام الأمر) وحروف الشرط (إن، إذا، لو، ...) وحروف الاستفهام (الهمزة، هل) وحروف العطف (الواو، الفاء، ثم، أو...).
- والسبب الذي يجعلنا نسميها (الأدوات) بدلاً من أن نسميها الأسماء أو الحروف: إن بعضها يتوزع بين الاثنين معاً، فأدوات الشرط منها أسماء كـ(مَنْ، ما) وحروف كـ(أن، لو) وأدوات

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (مجالات التفسير الموضوعي)، إبراهيم بن

الاستفهام - كذلك - تتوزع بين أسماء كـ (أين، كيف)، وحروف كـ (الهمزة، هل).

وواضح أن دراسة الأدوات في القرآن الكريم لا يختص بالعامل منها فحسب، فبعض الأدوات السابقة لا عمل نحوي لها مثل (الهمزة، هل، إذا، لو) وعلى هذا يمكن أن تقوم بدراسة عن (إلى) في القرآن الكريم، لتتعرف عن دلالاتها ومعانيها فيه.

#### ٤. الأسلوب<sup>(١)</sup>:

نتناول أسلوباً قرآنياً تيسر عليه آيات القرآن الكريم، كالحديث عن المستقبل بصورة الماضي، وأسلوب المثل القرآني، وأسلوب العرض القصصي وأسلوب الاستفهام، وأسلوب الأمر، وأسلوب النهي، وأسلوب الشرط، وأسلوب النداء... فالقرآن الكريم -مثلاً- يتحدث في بعض الآيات بصورة الماضي الذي يُفيد -ضمن الإطار العام- حصول الشيء قبل زمن التكلم، لكن مضمون الآية المباركة سيحصل في المستقبل، وهذا ما دَوَّنَه القرآن الكريم عن المحاوراة التي ستتم بين الله سبحانه ونبيه الكريم عيسى بن مريم عليه السلام والتي يقول فيها:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْهِ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ

(١) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ٢٣٢.

كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي- وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ  
عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١﴾.

فهذا الحوار الذي جرى بالفعل الماضي من قِبَل السائل (الله) عز وجل، والمجيب النبي الكريم عيسى عليه السلام جسده فعلاً ﴿قَالَ﴾ صدر أحدهما عن الباري عز وجل: ﴿قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ وصدر الآخر عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾.

والقرآن الكريم يستعمل هذا الأسلوب لإفادة تحقق ذلك مستقبلاً وأنه لشدة يقين حصوله حكي بصورة الماضي الذي وقع وحصل، ومن ذلك لوحة مفصلة عن يوم القيامة وأحداثه، حكتهها سورة الزمر. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا

مميزات التفسير الموضوعي ومشكلاته وأهم العقبات التي تواجهه..... || ١٦١

حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١﴾.

#### ٥. السورة:

يتم دراسة سورة كاملة كسورة البقرة، أو الناس، أو الكوثر: " وتعود المسألة في أصلها إلى القول بالوحدة الموضوعية للسورة، فمن قال بها سوَّغ أن تكون السورة مجالاً من مجالات التفسير الموضوعي، ومن لم يتصور وجود الوحدة في السورة استبعدها من مجالات هذا التفسير" (٢).

#### ٦. الموضوع في سورة:

يتم دراسة موضوع واحد من الموضوعات الفرعية في السورة، فنجري دراسة عن المنافقين عن طريق سورة آل عمران مثلاً ويتم التعرف على الموضوع عن طريق النطاق المحدد للدراسة وهو الموضوع والعينة له وهي سورة آل عمران، خوفاً من تتبُّع الموضوع كاملاً في القرآن الكريم بأكمله فيدخل ذلك في دائرة دراسة موضوع في القرآن الكريم بدلاً من كونها دراسة خاصة بموضوع واحد من سورة واحدة.

(١) الزمر: ٦٨-٧٤

(٢) التفسير الموضوعي، التأصيل والتمثيل: ١١٦.

ومن الأشياء التي يحددها ذكر النطاق والعينة تسهيل العملية الدراسية بدلاً من سعتها في القرآن الكريم كاملاً، وإمكان تجميع جهد الباحث لصبه في نطاق محدد وتحري الدقة والعمق والتركيز، وعدم مؤاخذة الباحث على عدم سبره للموضوع في السور الأخرى.

لذا فيجبُذ بعض الباحثين في هذا المجال (الموضوع في سورة) جعل عنوان البحث أو الدراسة معتمداً على عنوان أصلي يحمل المحددات مثلاً (المنافقون في سورة البقرة) بينما يميل الطرف الآخر إلى الاعتماد على عنوان أصلي، وآخر فرعي يحمل المحددات مثلاً (المنافقون في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجاً) أو (المنافقون في القرآن الكريم قراءة في سورة البقرة) أي وجود عنوان رئيس وآخر فرعي والأخير مشتق من الأول لتشويق الدراسة.

#### ٧. المقالة التفسيرية<sup>(١)</sup>:

يتم كتابة مقالة عن طريق آية أو مجموعة آيات يتجلى فيها الموضوع المراد الحديث عنه، أو النقاط المراد إبرازها من الموضوع، مثلاً تكتب مقالة عن (أدب الأنبياء مع الله تعالى) فنتناول الموضوع عن طريق قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ

(١) ينظر: المقالة التفسيرية، عبد الكريم إبراهيم عزيز، جامعة المدينة العالمية، القصيم، بحث منشور على شبكة الانترنت، ملتمقى أهل التفسير.



إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَنْظُمِينَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١﴾.

فعن طريق هذه الآيات المباركات نكتب مقالة عن طريق خطاب النبي عيسى ﷺ وكيف واجه طلب الحواريين، وكيف غير الأسلوب الذي جاء من قبلهم، ذا إحياء تشكيلي بقدره الله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، وذا إحياء تشكيلي بنبوة عيسى: ﴿وَتَنْظُمِينَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ وذا أهداف محدودة مباشرة: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ وذا رغبة في الإعلان والمشاهدة: ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾.

تلك كانت صيغة طلب الحواريين لكن النبي عيسى ﷺ حين وجّه الطلب إلى الله تعالى أعاد صياغته بما يمكن أن نقف فيه عند الملامح التالية لأدب النبي (٢):

(١) المائدة: ١١٢-١١٤

(٢) ينظر كل من: أدب الأنبياء والرسول مع الله، د. فاطمة سعد النعيمي، مقال على الموقع: [falmasalmqini@qu.edu.qa](mailto:falmasalmqini@qu.edu.qa). نظرة القسم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة مؤلفين، المكتبة الشاملة.

٥. تقديم الثناء على الله تعالى، وقد اختار فيه النبي عيسى ﷺ اللفظين الجامعين لصفات (الألوهية) الحقّة (اللهم) ولفسات الربوبية والرعاية منه - سبحانه - بخلقه وشؤونهم (ربنا).

٦. حذف أداة النداء، بما يشعر بالقرب، فلم يقل: يا إلهنا، يا ربنا، بل قال: (اللهم ربنا) وتلك عادة يذكرها القرآن الكريم في الدعاء الموجّه إلى الله سبحانه في قوله: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي الأعراف آية ١٥١ قال تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾.

(١) البقرة: ٢٠١

(٢) آل عمران: ٨

(٣) الفرقان: ٧٤

(٤) نوح: ٢٨

(٥) إبراهيم: ٤٠

٧. استشعار العناية الربانية، بنسبة الذات البشرية إلى الله تعالى فلم يقل: رب، بل قال (ربنا) فأضاف (نا المتكلمين) إلى كلمة (رب) وذلك يفيد الخصوصية ففرّق بين (أب، أخ، ابن، عم) و(أبي، ابني، أخي، عمي).

٨. الاعتماد على طريقة الدعاء المتيقن بقدرة الله تعالى، بدلاً من السؤال الشاك: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾.

٩. تغيير ترتيب الأهداف: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَأَجْرِنَا وَأَيَّةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وقد انزاح غرض الأكل منها الذي كان الأول في الترتيب عند الحواريين - إلى الأخير في دعوة النبي عيسى: ﴿وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وهذا الرزق (المائدة) سيأكلون منه. لكن السيد المسيح ﷺ لم يذكر ذلك مباشرة بخلاف الذين صرّحوا بذلك، وقالوا: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾.

١٠. الثناء على الله تعالى وحمده ختامًا - كما كان بدءًا - بما يليق به ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.



# المبحث الحادي عشر

## السُّنن التاريخية في القرآن الكريم

هل للقرآن الكريم عطاءات في مجال سنن التاريخ؟

إن شوط التفسير التقليدي شوط طويل جداً؛ لأنه يبدأ من الفاتحة وينتهي بسورة الناس، وهذا الشوط يحتاج إلى مدة زمنية طويلة من أجل إكماله، ولهذا لم يحظ من علماء الإسلام الأعلام إلا عدد محدود بهذا الشرف العظيم شرف مرافقة الكتاب الكريم من بدايته إلى نهايته<sup>(١)</sup>.

لذا فالأيام المحدودة المتبقية لا تفي بهذا الشوط الطويل، ولهذا كان من الأفضل اختيار أشواطاً أقصر لكي تستطيع أن تكمل بضعة أشواط في رحاب القرآن الكريم، فعليه الموضوع الأول الذي تختاره للبحث هو سنن التاريخ في القرآن الكريم، هل للتاريخ البشري سنن في مفهوم القرآن الكريم؟

---

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٤٥.

هل له قوانين تتحكم في مسيرته وفي حركته وتطوره؟ ما هي السنن التي تتحكم في التاريخ البشري؟ كيف بدأ التاريخ البشري؟ كيف نما؟ كيف تطور؟ ما هي العوامل الأساسية في نظرية التاريخ؟ ما هو دور الإنسان في عملية التاريخ؟ ما هو موقع السماء أو النبوة على الساحة الاجتماعية؟ كل هذه الفرضيات تُدرس تحت عنوان السنن التاريخية في القرآن الكريم، وهذا الجانب من القرآن الكريم قد بُحث الجزء الأعظم من مواده ومفرداته القرآنية لكن من زوايا مختلفة، فمثلاً قصص الأنبياء ﷺ التي تمثل الجزء الأعظم من هذه المادة القرآنية بُحثت من زاوية تاريخية تناولها المؤرِّخون، واستعرضوا الحوادث والوقائع التي ذكرها القرآن الكريم، وغابت عن أذهان المفسرين بعض أمور القرآن الكريم ولم يتمكنوا الوصول إليها ولم يدركوا مضامين الكتاب المبارك، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، فحاولوا ملئها من الروايات والأحاديث، أو بما هو المأثور عن أديان سابقة أو بالأساطير والخرافات، فتكونت مدونات ذات طابع تاريخي لتنظيم هذه المادة التاريخية.

كذا البحث من زاوية منهج القصة في القرآن الكريم، ومدى ما يتمتع به هذا المنهج من أصالة وقوة وإبداع، وما تزخر به القصة القرآنية من حيوية ومن حركة وأحداث<sup>(١)</sup>.

### توفر القرآن الكريم على بحث سنن التاريخ:

الساحة التاريخية كأي ساحة أخرى زاخرة بمجموعة من الظواهر، كما هي الساحة الفلكية والساحة الفيزيائية والساحة النباتية .. إلخ

كما أن الظواهر التي تزخر بها الساحة التاريخية ذات سنن ونواميس؟ وما هو موقف القرآن الكريم من هذه السنن والنواميس؟ وما هو عطاءه في مقام تأكيد هذا المفهوم إيجابياً أو سلبياً أو إجمالياً أو تفصيلاً<sup>(٢)</sup>.

وقد يُخيّل إلى بعض الأشخاص آنذاك ينبغي أن نترقب من القرآن الكريم أن يتحدث عن سنن التاريخ؛ لأن البحث فيها بحث علمي، كالبحث في سنن الطبيعة والفلك والذرة والنبات، والقرآن الكريم لم ينزل كتاب اكتشاف بل كتاب هداية ولم يكن كتاباً مدرسياً، ولم ينزل على رسول الله ﷺ بوصفه معلماً بالمعنى التقليدي من المعلم، لكي يدرس مجموعة من المتخصصين والمثقفين. وإنما نزل

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٤٦، ٤٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧.

على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، كما في قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup>، لكي يخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور هداية لذا فهو كتاب هداية وتغيير وليس كتاب اكتشاف<sup>(٢)</sup>.

من هناك لا نتربص من القرآن الكريم أن يكشف لنا الحقائق والمبادئ العامة للعلوم الأخرى، ولا نتربص من الكتاب المبارك أن يتحدث لنا عن مبادئ الفيزياء أو الكيمياء أو النبات أو الحيوان، صحيح أن في القرآن الكريم إشارات إلى كل ذلك، ولكنها إشارات بالحدود التي تؤكد على البعد الإلهي للقرآن الكريم، وبقدر ما يمكن أن يثبت العمق الرباني لهذا الكتاب الذي أحاط بالماضي والحاضر والمستقبل، والذي استطاع أن يسبق التجربة البشرية مئات السنين في مقام الكشف عن حقائق متفرقة في الميادين العلمية المختلفة، لكن هذه الإشارات القرآنية إنما هي لأجل عرض عملي من هذا القبيل لا من أجل تعلم الفيزياء والكيمياء<sup>(٣)</sup>.

(١) إبراهيم: ١

(٢) ينظر: المدرسة القرآنية: ٤٧، ٤٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨.



القرآن الكريم " لم يطرح نفسه بديلاً عن قدرة الإنسان الخلاقة، عن مواهبه وقابلياته في مقام الكدح، والكدح في كل ميادين الحياة بما في ذلك ميدان المعرفة والتجربة، القرآن الكريم لم يطرح نفسه بديلاً عن هذه الميادين وإنما طرح نفسه طاقة روحية موجّهة للإنسان مفجرة طاقاته محرّكة له في المسار الصحيح" (١)، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (٢).

فإذا كان القرآن الكريم كتاب هداية وتوجيه وليس كتاب اكتشاف فمن غير الطبيعي أن نترقب من استعراض مبادئ عامة لأي واحد من هذه العلوم التي يقوم الفهم البشري بمهمة التوغل في اكتشاف نواميسها وقوانينها وضوابطها، لماذا نتظر من القرآن الكريم أن يعطينا عموميات، أو يعطينا مواقف، أو يبلور له مفهوماً علمياً في سنن التاريخ على هذه الساحة من ساحات الكون، بينما ليس القرآن الكريم مثل ذلك على الساحات الأخرى؟ ولا حرج على القرآن الكريم في أن لا يكون له ذلك على الساحات الأخرى؛ لأن القرآن الكريم لو صار في مقام استعراض هذه القوانين وكشف هذه الحقائق، لكان بذلك يتحول إلى كتاب آخر نوعياً، يتحول من كتاب هداية للبشرية جمعاء إلى كتاب للمتخصصين يدرّس في الحلقات الخاصة،

(١) المدرسة القرآنية: ٤٨.

(٢) البقرة: ٢٨٢

لذا قد يلاحظ بهذا الشكل على اختيار هذا الموضوع إلا أن هذه الملاحظة رغم أن الروح العامة فيها صحيحة، بمعنى أن القرآن الكريم ليس كتاب اكتشاف ولم يطرح نفسه ليجمد في الإنسان طاقات النمو والإبداع والبحث، وإنما هو كتاب هداية، ولكن مع هذا يوجد فرق جوهري بين الساحة التاريخية وبقية ساحات الكون، هذا الفرق الجوهري يجعل من هذه الساحة وسننها أمرًا مرتبطًا أشد الارتباط بوظيفة القرآن الكريم ككتاب هداية، خلافًا لبقية الساحات الكونية والميادين الأخرى للمعرفة البشرية، وذلك أن القرآن الكريم كتاب هداية وعملية تغيير، هذه العملية التي عبّر عنها في القرآن الكريم بأنها إخراج الناس من الظلمات إلى النور<sup>(١)</sup>.

### عملية التغيير الاجتماعي وأبعادها:

عملية التغيير هذه فيها جانبان:

**الجانب الأول:** جانب المحتوى (المضمون) وما تدعو إليه هذه العملية التفسيرية من أحكام، ومناهج وما تتبناه من تشريعات، هذا الجانب من عملية التغيير جانب رباني، جانب إلهي سماوي، هذا الجانب يمثل شريعة الله سبحانه وتعالى التي نزلت على النبي محمد ﷺ وتحدث بنفس نزولها عليه كل سنن التاريخ المادية؛ لأن هذه

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٤٨، ٤٩.

الشريعة كانت أوسع من الجو الذي نزلت فيه، ومن البيئة التي حلت فيها، ومن الفرد الذي كلف بأن يقوم بأعباء تبليغها<sup>(١)</sup>.

هذا الجانب من عملية التغيير، جانب المحتوى والمضمون جانب التشريعات والأحكام والمناهج التي تدعو إليها هذه العملية، هذا الجانب جانب رباني إلهي، لكن هناك جانب آخر لعملية التغيير التي مارسها النبي ﷺ وأصحابه الأبطال، هذه العملية حينما تلاحظ بوصفها عملية متجسدة في جماعة من الناس وهم النبي والصحابة، بوصفها عملية اجتماعية متجسدة في هذه الصفوة، وبوصفها عملية قد واجهت تيارات اجتماعية مختلفة من حولها واشتبكت معها في ألوان من الصراع والنزاع العقائدي والاجتماعي والسياسي والعسكري، حينما تؤخذ هذه العملية التغييرية بوصفها تجسيداً بشرياً واقعاً على الساحة التاريخية مترابطاً مع الجماعات والتيارات الأخرى التي تكشف هذا التجسد والتي تؤيد أو تقاوم هذا التجسيد حينما تؤخذ العملية من هذه الزاوية تكون عملية بشرية يكون هؤلاء أناساً كسائر الناس تتحكم فيهم إلى درجة كبيرة سنن التاريخ التي تتحكم في بقية الجماعات وفي بقية الفئات على مر الزمن<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٤٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠.

إذن عملية التغيير التي مارسها القرآن الكريم ومارسها النبي ﷺ لها جانبان، من حيث صلتها بالشريعة وبالوحي ومصادر الوحي هي ربانية وهي فوق التاريخ، ولكن من حيث كونها عملاً قائماً على الساحة التاريخية من حيث كونها جهداً بشرياً يقاوم جهوداً بشرية أخرى، من هذه الناحية يعتبر هذا عملاً تاريخياً تحكمه سنن التاريخ، وتتحكم فيه الضوابط التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتنظيم طواهر الكون في هذه الساحة المسماة بالساحة التاريخية؛ ولهذا نرى أن القرآن الكريم حينما يتحدث عن الزاوية الثانية، عن الجانب الثاني من عملية التغيير يتحدث عن أناس يتحدث عن بشر، لا يتحدث عن رسالة سماوية بل يتحدث عنهم بوصفهم بشرًا من البشر تتحكم بهم القوانين التي تتحكم في الآخرين<sup>(١)</sup>.

حينما أراد أن يتحدث عن انكسار المسلمين في غزوة أحد بعد أن أحرزوا ذلك الانتصار الحاسم في غزوة بدر، بعد ذلك انكسروا وفسروا المعركة في غزوة أحد، تحدث القرآن الكريم عن هذه الخسارة، ماذا قال؟

هل قال بأن رسالة السماء فسرت المعركة بعد أن كانت ربحت المعركة؟

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٥٠.

لا؛ لأن رسالة السماء فوق مقاييس النصر والعزيمة بالمعنى المادي، رسالة السماء لا تُهزم، ولن تُهزم أبداً، ولكن الذي يُهزم هو الإنسان، الإنسان حتى ولو كان هذا الإنسان مجسداً لرسالة السماء؛ لأنه تتحكم فيه سنن التاريخ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

تكلم القرآن الكريم بوصفهم أناساً، قال: بأن هذه القضية هي في الحقيقة ترتبط بسُنن التاريخ، والمسلمون انتصروا في بدر حينما كانت الشروط الموضوعية للنصر بحسب منطق سنن التاريخ تفرض أن ينتصروا، وفسروا المعركة في أحد حينما كانت الشروط الموضوعية في المعركة تفرض عليهم أن يخسروها، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>، لا تتخللوا أن النصر حق إلهي لكم، وإنما النصر حق طبيعي لكم بقدر ما يمكن، توفر الشروط الموضوعية لهذا النصر بحسب منطق السُّنن التي وضعها الله تعالى كونياً لا تشريعياً، وحيث إنكم في غزوة أحد لم تتوفر لديكم هذه الشروط ولهذا خسرتم المعركة<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٥١، ٥٠.

(٢) آل عمران: ١٤٠.

(٣) آل عمران: ١٤٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥١.

فالكلام هنا كلام مع بشر مع عملية بشرية لا مع رسالة ربانية، بل يذهب القرآن الكريم إلى أكثر من ذلك يهدد هذه الجماعة البشرية التي كانت أنظف وأطهر جماعة على مسرح التاريخ، يهددهم بأنهم إذا لم يقوموا بدورهم التاريخي، وإذا لم يكونوا على مستوى المسؤولية لرسالة السماء، فإن هذا لا يعني أن تتعطل رسالة السماء، ولا يعني أن تسكن سنن التاريخ عنهم، بل إنهم سوف يُستبدلون سنن التاريخ سوف تعزلهم وتأتي بأمر أخرى تهيأت لها الظروف الموضوعية الأفضل لكي تلعب هذا الدور لكي تكون شهيدة على الناس إذا لم تتهيأ لهذه الأمة الظروف الموضوعية لهذه الشهادة، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

إذن فالقرآن الكريم حينما يتحدث عن الجانب الثاني من عملية التغيير يتحدث مع البشر، في ضعفه وقوته واستقامته وانحرافه، في توفر الشروط الموضوعية له وعدم توفرها، لذا فالبحث في سنن

(١) التوبة: ٣٩

(٢) المائدة: ٥٤

(٣) ينظر: المدرسة القرآنية: ٥١، ٥٢.

التاريخ مرتبط ارتباطاً عضوياً شديداً بكتاب الله تعالى بوصفه كتاب هدي، بوصفه كتاب إخراج للناس من الظلمات إلى النور؛ لأن الجانب العملي من هذه العملية الجانب البشري والتطبيقي منها يخضع لسُنن التاريخ فلا بُدَّ إذن أن نستلهم تصورات وعطاءات للقرآن الكريم في هذا المجال لتكوين إطار للنظرة القرآنية والإسلامية عن سُنن التاريخ، وهذا لا يشبه سنن الفيزياء والكيمياء والفلك والحيوان والنبات، تلك السُنن ليس داخلية في نطاق التأثير المباشر على عملية التغيير، ولكن هذه السنن داخلية في نطاق التأثير المباشر على عملية التغيير باعتبار الجانب الثاني، إذن لا بد أن نترقب من القرآن الكريم إعطاء عموميات في ذلك<sup>(١)</sup>.

بمعنى آخر لا نترقب من القرآن الكريم أن يتحول إلى كتاب مدرسي في علم التاريخ وسُنن التاريخ بحيث يستوعب كل التفاصيل وكل الجزئيات حتى لا يكون له دخل في منطق عملية التغيير التي مارسها النبي صلى الله عليه وسلم وإنما القرآن الكريم يحتفظ دائماً بوصفه الأساسي والرئيسي، يحتفظ بوصفه كتاب هداية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وفي حدود هذه المهمة الكبيرة والعظيمة التي مارسها، يعطي مقولات على الساحة التاريخية ويشرح سنن التاريخ بالقدر الذي يلقي ضوءاً على عملية التغيير التي مارسها

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٢، ٥٣.

النبي صلى الله عليه وسلم ويكون موجهًا وهاربًا وخالقًا لتبصر موضوعي للأحداث والظروف والشروط<sup>(١)</sup>.

### أساليب القرآن الكريم في بيان سنن التاريخ<sup>(٢)</sup>:

في القرآن الكريم نلاحظ أن هذه الحقيقة، حقيقة أن للتاريخ سننًا، إن الساحة التاريخية عامرة بسنن كما عمرت كل الساحات الكونية الأخرى بسنن هذه الحقيقة نراها واضحة في القرآن الكريم، فقد بينت بأشكال مختلفة أساليب عدة في كثير من الآيات: بينت على مستوى إعطاء نفس هذا المفهوم بالنحو الكلي: إن للتاريخ قوانين.

وبينت هذه الحقيقة في آيات أخرى على مستوى عرض هذه القوانين وبيان مصاريف ونماذج وأمثلة من هذه القوانين التي تتحكم في المسيرة التاريخية للإنسان، كما بينت في سياق آخر على نحو متمزج فيه النظرية مع التطبيق، أي بين المفهوم الكلي وبيّن في إطار مصداقه.

وفي آيات أخرى حصل الحث الأكبر على الاستفادة من الحوادث الماضية وشحذ الهمم لإيجاد عملية استقراء للتاريخ، وعملية الاستقراء للحوادث هي عملية علمية بطبيعتها تريد أن تُفتش عن سنة عن قانون وإلا فلا معنى للاستقراء من دونهما.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٣.

(٢) المدرسة القرآنية: ٥٣، ٥٤.



إذن هناك ألسنة عدة درجة عليها الآيات القرآنية في مقام توضيح هذه الحقيقة وبلورتها.

### أساليب القرآن في بيان سنن التاريخ:

إن الفكرة القرآنية عن سنن التاريخ بلورت في عدد كثير من الآيات بأشكال مختلفة وألسنة متعددة، في بعض هذه الآيات أعطيت الفكرة بصيغتها لكلية، وفي بعض الآيات وقع الحث على الاستقراء وعلى الفحص الاستقراءى للشواهد التاريخية من أجل الوصول إلى السُّنن التاريخية، فهناك عدد كثير من الآيات الكريمة استعرضت هذه الفكرة بشكل وآخر سوف تقرأ جملة منها وبعض هذه الآيات التي سوف نستعرضها واضحة الدلالة على المقصود، والبعض الآخر له نحو دلالة بشكل وآخر أو يكون معززاً ومؤيداً للروح العامة لهذه الفكرة القرآنية<sup>(١)</sup>.

#### ١. بيان الفكرة الكلية لسنن التاريخ:

من الآيات الكريمة التي أعطيت فيها الفكرة الكلية والتي تؤكد أن التاريخ له سنن وله ضوابط ما يلي<sup>(٢)</sup>:

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥٥-٦١.

يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢﴾، فلاحظ أن هاتين الآيتين الكريمتين أن الأجل أضيف إلى الأمة، إلى الوجود المجموعي للناس، لا إلى هذا الفرد بالذات، إذن هناك وراء الأجل المحدود المحتوم لكل إنسان بوصفه الفردي، هناك أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي لهؤلاء الأفراد، للأمة بوصفها مجتمعاً يُنشئ ما بين أفرادهِ العلاقات والصلات القائمة على أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ المسندة بمجموعة من القوى والقابليات.

هذا المجتمع الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالأمة له أجل (موت)، له (حياة)، له (حركة)، كما أن الفرد يتحرك فيكون حيًّا ثم يموت، كذلك الأمة تكون حية ثم تموت، وكما أن موت الفرد يخضع لأجل ولقانون ولناموس كذلك الأمم أيضاً لها آجالها المضبوطة، وهناك نواميس تحدد لكل أمة هذا الأجل، لذا قيل (حضارات سادت ثم بادت).

إذن هاتان الآيتان الكريمتان فيهما بيان واضح للفكرة الكلية ففكرة أن التاريخ له سنن تتحكم به وراء السنن الشخصية، يعني وراء السنن التي تتحكم في الأفراد بهوياتهم الشخصية.

(١) يونس: ٤٩

(٢) الأعراف: ٣٤

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ (٢)، وكذا قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

ظاهر الآية الكريمة أن الأجل الذي يتقرب أن يكون قريباً أو يهدد هؤلاء بأن يكون قريباً هو الأجل الجماعي لا الأجل الفردي؛ لأن قوماً بمجموعهم لا يموتون عادة في وقت واحد، وإنما الجماعة بوجودها الكلي هو الذي يمكن أن يكون قد اقترب أجله.

فالأجل الجماعي هنا يعبر عن حالة قائمة بالجماعة لا عن حالة قائمة بهذا الفرد أو ذاك؛ لأن الناس عادة تختلف آجالهم حسبما ينظر إليهم بالمنظار الفردي، لكن حينما ننظر إليهم بالمنظار الاجتماعي بوصفهم مجموعة واحدة متفاعلة في ظلمها وعدلها، في سرّائها وضرّائها، حينئذ يكون لها أجل واحد، فهذا الأجل الجماعي

(١) الحجر: ٤، ٥

(٢) المؤمنون: ٤٣

(٣) الأعراف: ١٨٥

المشار إليه إنما هو أجل الأمة، وبهذا تلتقي هذه الآية الكريمة مع الآيات السابقة.

قال تعالى: **وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾** وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله سبحانه: **﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**<sup>(٢)</sup>.

وقوله جل وعلا: **﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾**<sup>(٣)</sup>.

في هاتين الآيتين الكريمتين بيّن القرآن الكريم أن (الله) سبحانه لو كان يريد أن يؤاخذ الناس بما ظلموا وبما كسبوا ما ترك على ساحة الناس من دابة، يعني لأهلك الناس جميعاً، لذا وقعت مشكلة في كيفية تصوير هذا المفهوم القرآني، إذ ليس كل الناس ظالمين عادةً، ففيهم الأنبياء والأوصياء، وفيهم الأئمة، هل يشمل

(١) الكهف: ٥٨، ٥٩

(٢) النحل: ٦١

(٣) فاطر: ٤٥

الهلاك الأنبياء والأئمة؟ حتى إن بعض الناس استغل هاتين الآيتين لإنكار عصمة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لكن الحقيقة أن هاتين الآيتين تتحدثان عن عقاب دينوي لا عن عقاب أخروي، تتحدث عن النتيجة الطبيعية لما تكسبه أمة عن طريق الظلم والطغيان، هذه النتيجة الطبيعية لما تكسبه أمة عن طريق الظلم والطغيان، هذه النتيجة الطبيعية لا تختص حينئذ بخصوص الظالمين من أبناء المجتمع، بل تعم أبناء المجتمع على اختلاف هوياتهم، وعلى اختلاف أنحاء سلوكهم<sup>(١)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا البلاء يحصل في الأمة إذا لم تلتزم الناس بمهمتهم التي كلفهم الله تعالى بها وهي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) كما في الحديث النبوي: "إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلَّط الله تعالى عليكم أشرا ركم...".

حينما وقع التيه على بني إسرائيل نتيجة ما كسب هذا الشعب بظلمه وطغيانه وتمرده، هذا التيه لم يختص بخصوص الظالمين من بني إسرائيل، وإنما شمل موسى ﷺ، شمل أظهر الناس وأزجاهم وأشجعهم في مواجهة الظلمة والطواغيت، شمل موسى ﷺ؛ لأنه

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٥٨.

(٢) الأنفال: ٢٥.

جزء من تلك الأمة وقد دلَّ الهلاك بتلك الأمة وقد قرر نتيجة ظلمهم أن يتيهوا أربعين عامًا، وبهذا شمل التيه موسى عليه السلام (١).

حينما قلَّ البلاء والعذاب بالمسلمين نتيجة انحرافهم، فأصبح يزيد بن معاوية خليفة عليهم يتحكم في أموالهم ودمائهم وأعراضهم وعقائدهم، حينما قلَّ هذا البلاء لم يختص بالظالمين من المجتمع الإسلامي وقتئذ بل شمل حتى الإمام الحسين عليه السلام أظهر الناس، وأزكى الناس، وأطيبهم وأعدلهم، شمل المعصوم عليه السلام، قُتل بتلك القتلة البشعة هو وأصحابه وأهل بيته، لذا فهذا هو منطق سُنَّة التاريخ بالعذاب حينما يأتي في الدنيا على مجتمع وفق سنن التاريخ لا يختص بخصوص الظالمين من أبناء مجتمع، لذا ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢)(٣).

فالآية الكريمة تتحدث عن سنن التاريخ لا عن العقاب بالمعنى الأخروي، والعذاب بمعنى مقياس يوم القيامة، بل عن سنن التاريخ وما يمكن أن يحصل نتيجة كسب الأمة، سعي الأمة،

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨.

(٢) الأنفال: ٢٥

(٣) ينظر: المدرسة القرآنية: ٥٨، ٥٩.

وجهدها، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

هذه الآية المباركة أيضاً تؤكد المفهوم العام، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ هذه سُنَّةٌ سلكتها مع الأنبياء من قبلك وسوف تستمر ولن تتغير فأهل مكة يحاولون أن يستفزوك لتخرج من مكة؛ لأنهم عجزوا عن إمكانية القضاء عليك وعلى كلمتك وعلى دعوتك، ولهذا صار أمامهم طريق واحد وهو إخراجهم من مكة (١).

ليس المقصود من: أنهم لا يلبثون إلا قليلاً، يعني أنه سوف ينزل عليهم عذاب الله سبحانه وتعالى من السماء؛ لأن أهل مكة أخرجوا رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة، استفزوه وأرعبوه وخرج رسول الله ﷺ من مكة إذ لم يجد له ملجأً وأماناً في مكة، خرج إلى المدينة ولم ينزل عذاب من السماء على أهل مكة، وإنما المقصود في أكبر الظن في هذا التعبير أنهم لا يمكنون كجماعة صامدة معارضة يعني كموقع اجتماعي لا يمكنون، لا كأناس كبشر، وإنما هذا الموقع سوف ينهار نتيجة هذه العملية، سوف ينهار هذا الموقع، لا يمكنون إلا قليلاً؛ لأن هذه النبوة التي عجز هذا المجتمع عن

(١) الإسراء: ٧٦، ٧٧

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٩، ٦٠.

تطويقها سوف تستطيع بعد ذلك أن تهز هذه الجماعة كموقع للمعارضة، وهذا ما وقع فعلاً، فإن رسول ﷺ حينما أخرج من مكة لم يمكثوا بعده إلا قليلاً، إذ فقدت المعارضة في مكة موقعها وتحولت مكة إلى جزء من دار الإسلام بعد سنين معدودة<sup>(١)</sup>.

إذن الآية تحدثت عن سُنَّة من سنن التاريخ التي لا تتغير بل تتكرر: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية تؤكد على السنن وعلى الحث والتتبع لأحداث التاريخ من أجل استكشاف هذه السنن ومن أجل الاعتبار بها<sup>(٣)</sup>.

## ٢. بيان السنن عن طريق المصاريف<sup>(٤)</sup>:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، هذه الآية أيضاً تُثَبِّت قلب رسول الله ﷺ، تحدّثه عن التجارب السابقة، تربطه بقانون التجارب السابقة، توضّح له أن هناك سُنَّة تجري عليه وتجري على الأنبياء الذين مارسوا هذه التجربة من

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٦٠.

(٢) آل عمران: ١٣٧

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠، ٦١.

(٤) المصدر نفسه: ٦١-٦٦.

(٥) الأنعام: ٣٤



قبله، وأن النصر سوف يأتيه ولكن للنصر شروطه الموضوعية: الصبر والثبات، واستكمال الشروط. هذا هو الطريق إلى الحصول على هذا النصر، ولهذا يقول سبحانه: ﴿فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

إذن هناك كلمة لله لا تتبدل على مر التاريخ، هذه الكلمة التي لا تتبدل هي علاقة قائمة بين النصر وبين مجموعة من القضايا والشروط والمواصفات، وضعت عن طريق آيات متفرقة وجمعت على وجه الاحتمال، إذن هناك سُنَّةٌ للتاريخ قال تعالى: ﴿..... فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٥﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَن نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٣٣﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَن نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

هناك آيات استعرضت نماذج من سنن التاريخ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

هذه الآية الكريمة تتحدث عن نموذج آخر من نماذج سنن التاريخ وتؤكد أن الله سبحانه وتعالى لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما

(١) فاطر: ٤٢، ٤٣

(٢) الفتح: ٢٢، ٢٣

بأنفسهم، يغيّروا المحتوى الداخلي والنفسي والروحي للإنسان وهو القاعدة والوضع الاجتماعي هو البناء العلوي، لا يتغير هذا البناء العلوي إلا وفقاً لتغيّر القاعدة.

هذه الآية إذن تتحدث عن علاقة معينة بين القاعدة والبناء العلوي، بين الوضع النفسي والروحي والفكري للإنسان وبين الوضع الاجتماعي بين داخل الإنسان وخارجه، فخارج الإنسان يصنّفه داخله، ويرتبط بداخل الإنسان، فإذا تغيّر ما بنفس القوم تغيّر وصفهم وما هي علاقاتهم، وما هي الروابط التي تربط بعضهم ببعض، إذن هذه سنة من سنن التاريخ ربطت القاعدة بالبناء العلوي.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ، وقوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

يستنكر عليهم أن يأملوا في أن يكون لهم استثناء من سنة التاريخ، هل تطمعون أن يكون لكم استثناء من سنة التاريخ، أن تدخلوا الجنة وأن تحققوا النصر وأنتم لم تعيشوا ما عاشته تلك الأمم التي انتصرت ودخلت الجنة في ظروف البأس والضراء التي تصل إلى حد الزلزال على ما عبّر القرآن الكريم؟

إن هذه الحالات، حالات البأس والضراء التي تتعلّق على مستوى الزلزال هي في الحقيقة مدرسة للأمم، هي امتحان لإرادة الأمة، لصمودها، لثباتها، لكي تستطيع بالتدريج أن تكتسب القدرة على أن تكون أمة وسطاً في الناس.

إذن نصر الله تعالى قريب، لكن نصر الله تعالى له طريق، هكذا يريد أن يقول القرآن الكريم، نصر الله ليس أمراً عفويّاً، وليس أمراً على سبيل الصدفة، وليس أمراً اعتباطيّاً، نصر الله تعالى قريب ولكن اهتدّ إلى طريقه، الطريق الذي لا بد أن تعرف فيه سنن التاريخ لا بد وأن تعرف فيه منطق التاريخ لكي تستطيع أن تهتدي إلى نصر الله سبحانه وتعالى.

قد يكون الدواء قريباً من المريض لكن إذا كان هذا المريض لا يعرف تلك المعادلة العلمية التي تؤدي إلى إثبات أن هذا الدواء يقضي على جرثومة هذا الداء، لا يستطيع أن يستعمل هذا الدواء حتى ولو كان قريباً منه.

إذن الاطلاع على سنن التاريخ هو الذي يمكن الإنسان من التوصل إلى النصر، فهذه الآية تستنكر على المخاطبين أن يكونوا طامعين في الاستثناء من سنن التاريخ.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (١)،  
وقوله سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا  
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (٢).

هذه علاقة قائمة بين النبوة على مر التاريخ وبين موقع المترفين والمسرفين في الأمم والمجتمعات، هذه العلاقة تمثل سنة من سنن التاريخ، ليست ظاهرة وقعت في التاريخ صدفة وإلا لما تكررت بهذا الشكل المطرد، لما قال سبحانه: ما الزخرف: ٢٢، ٢٣ ذن هناك علاقة سلبية، هناك علاقة طردية وتناقض بين موقع النبوة الاجتماعي في حياة الناس على الساحة التاريخية والموقع الاجتماعي للمترفين والمسرفين، هذه العلاقة ترتبط في الحقيقة بدور النبوة في نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكننا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا المجتمع ودور المترفين والمسرفين فيه، هذه العلاقة و جزء من رؤية موضوعية عامة للمجتمع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾

(١) سبأ: ٣٤، ٣٥

(٢) الزخرف: ٢٢، ٢٣

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا  
بَصِيرًا»<sup>(١)</sup>.

هذه الآية أيضًا تتحدث عن علاقة معينة، علاقة بين ظلم يسود  
وظلم يسيطر وبين هلاك تجر إليه الأمة جرًّا، هذه العلاقة تعبر عنها  
الآية وتؤكد أنها علاقة مطلقة مطردة على مر التاريخ وهي سُنَّة من  
سننه.

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ  
رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ  
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله في موضع آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا  
وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وكذا قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ  
لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(٤)</sup>.

هذه الآيات الثلاث أيضًا تتحدث عن علاقة معينة، هذه  
العلاقة المعينة علاقة بين الاستقامة وتطبيق أحكام الله سبحانه  
وتعالى وبين وفرة الخيرات ووفرة الإنتاج، وبلغة اليوم علاقة بين  
عدالة التوزيع ووفرة الإنتاج، فالقرآن الكريم يؤكد أن المجتمع الذي

(١)الإسراء: ١٦، ١٧

(٢)المائدة: ٦٦

(٣)الأعراف: ٩٦

(٤)الجن: ١٦

تسوده العدالة في التوزيع، هذه العدالة عبّر عنها القرآن الكريم تارة بأنه «لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» وأخرى بأنه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا» وكذا «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ»؛ لأن شريعة السماء نزلت من أجل تقرير عدالة التوزيع، من أجل إنشاء علاقات التوزيع على أسس عادلة، يقول: لو أنهم طبقوا عدالة التوزيع، إذن لما وقعوا في ضيق من ناحية الثروة المنتجة لما وقعوا في فقر من هذه الناحية لازداد الثراء لازداد المال، لازدادت الخيرات والبركات، لكنهم تخيلوا أن عدالة التوزيع تقتضي الفقر، تقتضي التقسيم، ومن ثمّ تقتضي فقر الناس، بينما الحقيقة السُّنَّة التاريخية تؤكد عكس ذلك، تؤكد بأن تطبيق شريعة السماء وتجسيد أحكامها في علاقات التوزيع تؤدي دائماً وباستمرار إلى وفرة الإنتاج، إلى زيادة الثروة، إلى أن تفتح على الناس بركات السماء والأرض، إذن هذا أيضاً سُنَّة من سنن التاريخ.

### ٣. الحث على التأمل في أحداث التاريخ<sup>(١)</sup>:

هناك آيات أخرى أكدت وحثت على الاستقراء والنظر والتدبر في الحوادث التاريخية من أجل تكوين نظرة استقرائية، من أجل الخروج بنواميس وسنن كونية للساحة التاريخية، قال تعالى:

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٦٦-٦٩.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (٢)، وكذا قوله سبحانه: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُنُّ مَعْظَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (٣) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٣)، وفي سورة (ق) الآيات ٣٦ و٣٧، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ .

### كشف القرآن عن سنن التاريخ:

من مجموع هذه الآيات الكريمة يتبلور المفهوم القرآني الذي أوضحناه، وهو تأكيد القرآن الكريم على أن الساحة التاريخية لها سنن ولها ضوابط كما يكون هناك سنن وضوابط لكل الساحات الكونية الأخرى، وهذا المفهوم القرآني يعتبر فتحاً عظيماً للقرآن الكريم؛ لأننا نجد أن القرآن الكريم أول كتاب عرفه الإنسان أكد على هذا المفهوم وكشف عنه وأصرَّ عليه وقاوم بكل ما لديه من وسائل

(١) محمد: ١٠

(٢) يوسف: ١٠٩

(٣) الحج: ٤٥، ٤٦

الإقناع والتفهم، قاوم النظرة العفوية أو النظرة الغيبية الاستسلامية لتفسير الحوادث، الإنسان الاعتيادي كان يفسر أحداث التاريخ بوصفها أحداث متراكمة، يفسرها على أساس الصدفة تارة، والقضاء والقدر والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى تارة أخرى، القرآن الكريم قاوم هذه النظرة العفوية وقاوم هذه النظرة الاستسلامية ونبّه العقل البشري إلى أن هذه الساحة لها سننها ولها قوانينها، ولكي تستطيع أن تكون إنساناً فاعلاً مؤثراً لا بُدَّ لك أن تكتشف هذه السنن، لا بُدَّ لك أن تتعرف على هذه القوانين لكي تستطيع أن تتحكم فيها، وإلا تحكمت هي فيك وأنت مغمض العينين: فتح عينك على هذه القوانين والسنن لكي تكون أنت المتحكم لا لكي تكون هذه السنن هي المتحكمة فيك.

هذا الفتح القرآني الجليل هو الذي معد إلى تنبُّه الفكر البشري بعد ذلك يقرون إلى أن تجري محاولات لفهم التاريخ فهمًا علميًا، بعد نزول القرآن الكريم بثمانية قرون بدأت هذه المحاولات على أبدي المسلمين أنفسهم، فقام ابن خلدون بمحاولة لدراسة التاريخ وكشف سننه وقوانينه ثم بعد ذلك بأربعة قرون اتجه الفكر الأوربي في بدايات ما يسمى بعصر النهضة، بدأ يجسد هذا المفهوم الذي ضيَّعه المسلمون، والذي لم يستطع المسلمون أن يتوغلوا إلى أعماقه، هذا المفهوم أخذته الفكر الغربي بدايات عصر النهضة، وبدأت هناك



أبحاث متنوعة ومختلفة حول فهم التاريخ وسنن التاريخ، ونشأت على هذا الأساس اتجاهات مثالية ومادية ومتوسطة ومدارس متعددة كل واحدة منها تحاول أن تحدد نواميس التاريخ، وقد تكون المادية التاريخية أشهر هذه المدارس وأوسعها تغلغلاً وأكثرها تأثيراً في التاريخ.



# المبحث الثاني عشر

## خصائص السنن التاريخية<sup>(١)</sup>

### ١. الاطراد:

السُّنَّةُ التاريخية مطردة ليس علاقة عشوائية. وليست رابطة على أساس الصدفة والحظ والاتفاق، وإنما هي علاقة ذات طابع موضوعي لا تتخلف في الحالات الاعتيادية التي تجري فيها الطبيعة والكون وعلى السنن العامة، وكان التأكيد على طابع الاطراد في السُّنَّة تأكيداً على الطابع العلمي للقانون التاريخي؛ لأنه أهم مميز يميزه عن بقية المعادلات والفروض هو الاطراد والتتابع وعدم التخلف.

من هنا استهدف القرآن الكريم عن طريق التأكيد على طابع الاطراد في السُّنَّة التاريخية، أن يؤكد على الطابع العلمي لهذه السُّنَّة وأن يخلف في الإنسان المسلم شعوراً واعياً على جريان أحداث التاريخ، متبصراً لا عشوائياً ولا مستسلماً ولا ساذجاً.

---

(١) ينظر كل من: المدرسة القرآنية: ٦٩-٧٦، السنن الإلهية في الأمم والجماعات في القرآن الكريم (أصول وضوابط)، د. مجدي محمد عاشور: ٣٦، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، د. عبد الكريم زيدان: ١٣، السنن الإلهية في السيرة النبوية، د. رشيد كهوس: ٤٦.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله سبحانه في موضع آخر: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، هذه النصوص القرآنية تقدم استعراضها، تؤكد على طابع الاستمرارية والاطراد، أي طابع الموضوعية والعلمية للسنة التاريخية كما وتستنكر أن يكون هناك تفكير أو طمع لدى جماعة من الجماعات بأن تكون مستثناة من سنة التاريخ، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ﴾ البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب﴾].

هذه الآية تستنكر على من يطمع في أن يكون حالة استثنائية من سنة التاريخ، لذا الروح العامة للقرآن الكريم تؤكد على هذه الحقيقة وهي حقيقة الاطراد في السنة التاريخية الذي يعطيها الطابع العلمي من أجل تربية الإنسان على ذهنية واعية علمية يتصرف في إطارها وعن طريقها مع أحداث التاريخ.

(١) الأحزاب: ٦٢

(٢) الإسراء: ٧٧

(٣) الأنعام: ٣٤

## ٨. ربانية السُّنة التاريخية:

السُّنة التاريخية ربانية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، سُنَّة الله كلماته على اختلاف التعبير، بمعنى أن كل قانون من قوانين التاريخ هو كلمة من الله سبحانه وتعالى، وهو قرار رباني هذا التأكيد من القرآن الكريم على ربانية السُّنة التاريخية وعلى طابعها الغيبي يستهدف شد الإنسان حتى حينما يريد أن يستفيد من القوانين الموضوعية للكون بالله سبحانه وتعالى، وإشعار الإنسان بأن الاستعانة بالنظام الكامل لمختلف الساحات الكونية والاستفادة من مختلف القوانين والسنن التي تتحكم في هذه الساحات ليس ذلك انعزلاً عن الله سبحانه؛ لأنه سبحانه يمارس قدرته عن طريق هذه السنن؛ ولأن هذه السنن والقوانين هي إرادة الله سبحانه وهي ممثلة لحكمة الله تعالى وتدبيره في الكون.

### الاتجاه القرآني الموضوعي والاتجاه اللاهوتي الغيبي:

قد يتوهم البعض أن هذا الطابع الغيبي الذي يلبسه القرآن الكريم للتاريخ والسنن التاريخية، يُبعد القرآن الكريم عن التفسير العلمي الموضوعي للتاريخ، ويجعله يتجه اتجاه التفسير الإلهي للتاريخ الذي مثلته مدرسة من مدارس الفكر اللاهوتي على يد عدد كبير من المفكرين المسيحيين اللاهوتيين، حيث فسروا التاريخ تفسيراً إلهياً قد يخلط هذا الاتجاه القرآني بذلك التفسير الإلهي الذي

اتجه إليه أغسطين وغيره من المفكرين اللاهوتيين، فيقال بأن إسباغ هذا الطابع الغيبي على السُّنة التاريخية يحول المسألة إلى مسألة غيبية وعقائدية، ويخرج التاريخ عن إطاره العلمي الموضوعي.

لكن الحقيقة أن هناك فرقاً أساسياً بين الاتجاه القرآني وطريقة القرآن الكريم في ربط التاريخ بعالم الغيب وفي إسباغ الطابع الغيبي على السُّنة التاريخية وبين ما يسمى بالتفسير الإلهي للتاريخ الذي تبناه اللاهوت، فهناك فرق كبير بين هذين الاتجاهين وهاتين النزعتين -وحاصل هذا الفرق هو أن الاتجاه اللاهوتي- التفسير الإلهي للتاريخ يتناول الحادثة نفسها ويربطها بالله سبحانه وتعالى قاطعاً صلتها وروابطها مع بقية الحوادث، فهو يطرح الصلة مع الله تعالى بديلاً عن صلة الحادثة مع بقية الحوادث، بديلاً عن العلاقات والارتباطات التي تزخر بها الساحة التاريخية والتي تمثل السنن والقوانين الموضوعية لهذه الساحة، بينما القرآن الكريم لا يسبغ الطابع الغيبي على الحادثة بالذات، لا يبتزع الحادثة التاريخية من سياقها ليربطها مباشرة بالسماء لا يطرح صلة الحادثة بالسماء كبديل عن أوجه الارتباط والعلاقات والأسباب والمسببات على هذه الساحة التاريخية، بل إنه يربط السُّنة التاريخية بالله سبحانه، يربط أوجه العلاقات والارتباطات بالله سبحانه، فهو يقرر أولاً ويؤمن بوجود روابط وعلاقات بين الحوادث التاريخية إلا أن هذه الروابط

والعلاقات بين الحوادث التاريخية هي في الحقيقة تعبير من كلمة الله سبحانه، وحسن تقديره وبنائه التكويني للساحة التاريخية، نأخذ مثلاً للتوضيح:

قد يأتي إنسان فيفسر ظاهرة المطر التي هي ظاهرة طبيعية فيقول بأن المطر نزل بإرادة من الله سبحانه وتعالى. ويجعل هذه الإرادة بديلاً عن الأسباب الطبيعية التي نجم عنها نزول المطر فكأن المطر حادثة لا علاقة لها ولا نسب، وإنما هي حادثة مفردة ترتبط مباشرة بالله سبحانه بمعزل عن تيار الحوادث، وهذا النوع من الكلام يتعارض مع التفسير العلمي لظاهرة المطر، لكن إذا جاء شخص وقال بأن ظاهرة المطر لها أسبابها وعلاقاتها وأنها مرتبطة بالدورة الطبيعية للماء مثلاً الماء يتبخر فيتحول إلى غاز، والغاز يتصاعد سحباً، والسحاب يتحول بالتدريج إلى سائل نتيجة انخفاض الحرارة فينزل المطر، إلا أن هذا التسلسل السببي المتقن هذه العلاقات المتشابكة بين هذه الظواهر الطبيعية هي تعبير عن حكمة الله سبحانه وتديره وحسن رعايته، فمثل هذا الكلام لا يتعارض مع الطابع العلمي والتفسير الموضوعي لظاهرة المطر؛ لأننا ربطنا هنا السنة بالله سبحانه، لا الحادثة مع عزلها عن بقية الحوادث وقطع ارتباطها مع مؤثراتها إذن القرآن الكريم حينما يُسبغ الطابع الرباني على السنّة التاريخية لا يريد أن يتجه اتجاه التفسير الإلهي في التاريخ،

ولكنه يريد أن يؤكد أن هذه السنن ليست هي خارجه ومن وراء قدرة الله سبحانه وتعالى، وإنما هي تعبير وتجسيد وتحقيق لقدرة الله تعالى. فهي كلماته وسننه وإرادته وحكمته في الكون لكي يبقى الإنسان دائماً مشدداً إلى الله تعالى لك يتبقى الصلة الوثيقة بين العلم والإيمان، فهو في نفس الوقت الذي ينظر فيه إلى هذه السنن نظرة علمية، ينظر إليها أيضاً نظرة إيمانية.

وقد بلغ القرآن الكريم في حرصه على تأكيد الطابع الموضوعي للسنن التاريخية وعدم جعلها مرتبطة بالهدف، أن نفس العمليات الغيبية أناطها في كثير من الحالات بالسنة التاريخية نفسها أيضاً، عملية الإمداد الإلهي بالنصر، الإمداد الإلهي الغيبي الذي يساهم في كسب النصر، هذا الإمداد جعله القرآن الكريم مشروطاً بالسنة التاريخية مرتباً بطرفها غير منفك عنها، وهذه الروح أبعد ما تكون عن أن تكون روحاً تفسر التاريخ على أساس الغيب، وإنما هي روح تفسر التاريخ على أساس المنطق والعقل والعلم، وحتى ذلك الإمداد الإلهي الذي يساهم بالنصر رُبط بالسنة التاريخية.

قرأنا فيما سبق صيغة من صيغ السنن التاريخية للنصر حينما قرأنا قوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ



خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾ .

أما الآيات التي تتحدث عن الإمداد الإلهي الغيبي هي:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٦٥﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ .

هناك إمداد إلهي غيبي ولكنه شرط بسنة التاريخ، شرط بقوله سبحانه: ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ أجملت شروط التاريخ ثم فصلت في الآيات الأخرى إذن هذا الإمداد الغيبي أيضاً مرتبط بسنة التاريخ: ﴿ إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١٦٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ .

إذن من الواضح أن الطابع الرباني الذي يسبغه القرآن الكريم ليس بديلاً عن التفسير الموضوعي، وإنما هو ربط لهذا التفسير

(١) البقرة: ٢١٤

(٢) آل عمران: ١٢٤-١٢٦

(٣) الأنفال: ٩، ١٠

الموضوعي بالله سبحانه من أجل إكمال اتجاه الإسلام نحو التوحيد بين العلم والإيمان في تربية الإنسان المسلم.

### ١. اختيار الإنسان ودوره في السنن التاريخية:

وهي الحقيقة الثالثة التي أكد عليها القرآن الكريم عن طريق النصوص المتقدمة هي حقيقة اختيار الإنسان وإرادته، وهذه الحقيقة التأكيد عليها في مجال استعراض سنن التاريخ مهم جداً؛ لأن البحث في سنن التاريخ خلق وهمًا، وحاصل هذا الوهم وُجِدَ عند كثير من المفكرين.

إن هناك تعارضًا وتناقضًا بين حرية الإنسان واختياره، وبين سنن التاريخ فإما أن نقول بأن للتاريخ سننه وقوانينه، وبهذا نتنازل عن إرادة الإنسان واختياره وعن حرّيته، وإما أن نسلّم بأن كائن حر مريد مختار، وبهذا يجب أن نلغي سنن التاريخ وقوانينه ونقول بأن هذه الساحة قد أَعْفِيَت من القوانين التي لم تعف منها بقية الساحات الكونية.

هذا الوهم وهم التعارض والتناقض بين فكرة السُنَّة التاريخية أو القانون التاريخي وبين فكرة اختيار الإنسان وحرّيته، هذا الوهم كان من الضروري للقرآن الكريم أن يزيحه وهو يعالج هذه النقطة بالذات - لذا أكد الله سبحانه على أن المحور في تسلسل الأحداث والقضايا إنما هو إرادة الإنسان - قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿<sup>(١)</sup>﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ <sup>(٢)</sup>، وفي سورة الكهف الآية: ٥٩ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾.

في هذه الآيات المباركات السنن التاريخية لا تجري من فوق رأس الإنسان بل تجري من تحت يده، فإن الله سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً، إذن هناك مواقف إيجابية للإنسان تمثل حكمة الله تعالى وحسن تديره على دوره الإيجابي ولا تعطل فيه إرادته وحرية واختياره، وإنما تؤكد أكثر فأكثر مسؤوليته على الساحة التاريخية.

### مجال السنن على الساحة التاريخية<sup>(٣)</sup>:

ما هو ميدان السنن التاريخية؟

هذه السنن تجري على الساحة التاريخية. لكن هل أن الساحة التاريخية بامتدادها هي ميدان للسنن التاريخية؟ أو أن ميدان السنن التاريخية يمثل جزءاً من الساحة التاريخية، بمعنى أن الميدان الذي يخضع للسنن التاريخية بوصفها قوانين ذات طابع نوعي مختلف عن القوانين الأخرى الفيزيائية والفسلجية والبيولوجية والفلكية. هذا

(١) الرعد: ١١

(٢) الجن: ١٦

(٣) ينظر: المدرسة القرآنية: ٧٦-٧٩.

الميدان الذي يخضع لقوانين طابع نوعي مختلف هذا الميدان هل تتسع له الساحة التاريخية؟ هل يستوعب كل الساحة التاريخية، أو يعبر عن جزء منها.

قبل الإجابة ما المقصود بالساحة التاريخية؟

الساحة التاريخية عبارة عن الساحة التي تحوي تلك الحوادث والقضايا التي يهتم بها المؤرخون. المؤرخون هم أصحاب التواريخ يهتمون بمجموعة من الحوادث والقضايا يسجلونها في كتبهم، والساحة التي تزخر بتلك الحوادث التي يهتم بها المؤرخون ويسجلونها هي الساحة التاريخية.

فهل أن كل هذه الحوادث والقضايا التي يربطها المؤرخون وتدخل في نطاق مهمتهم التاريخية والتسجيلية، هل كلها محكومة بالسنن التاريخية بسن التاريخ ذات الطابع النوعي المتميز عن سنن بقية حقول الكون الطبيعية؟ أو أن جزءاً معيناً من هذه الحوادث والقضايا هو الذي تحكمه سنن التاريخ؟

الصحيح أن جزءاً معيناً من هذه الحوادث والقضايا هو الذي تحكمه سنن التاريخ. هناك حوادث لا تنطبق عليها سنن التاريخ، بل تنطبق عليها القوانين الفيزيائية أو الفلسفية، أو قوانين الطبيعة أو قوانين الحياة أو أي قوانين أخرى لمختلف الساحات الكونية الأخرى.

مثلاً: موت أبو طالب، موت خديجة في سنة معينة حيث سُمِّيَتْ هذه السنة بعام الحزن وهو العاشر بعد البعثة النبوية الشريفة، فتُعدُّ حادثة تاريخية مهمة تدخل في نطاق ضبط المؤرخين، وأكثر من هذا هي حادثة ذات بُعد في التاريخ ترتبت عليها آثار كثيرة في التاريخ، ولكنها لا يحكمها سنن التاريخ تحكمها قوانين فسلجية أو قوانين الحياة التي فرضت أن يموت أبو طالب، وأن تموت خديجة (عليها السلام) في ذلك الوقت المحدد، فهذه الحادثة تدخل في نطاق صلاحيات المؤرخين، ولكن الذي تحكّم في هذه الحادثة هي قوانين فسلجة جسم أبو طالب وجسم خديجة قوانين الحياة التي تفرض المرض والشيخوخة ضمن شروط معينة وظروف معينة أصعب من الشروط.

حياة عثمان بن عفان، طول عمر الخليفة الثالث، هذا الأمر يُعدُّ حادثة تاريخية، الخليفة الثالث ناهز الثمانين، هذه الحادثة التاريخية كان لها أثر عظيم في تاريخ الإسلام، لو قُدِّرَ لهذا الخليفة أن يموت موتاً طبيعياً وفقاً لقوانينه الفسلجية قبل يوم الثورة كان من الممكن أن تتغير كثير من معالم التاريخ، كان من المحتمل أن يأتي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخلافة بدون تناقضات وضجيج، وبدون خلاف، لكن قوانين فسلجة جسم عثمان بن عفان اقتضت أن يمتد به العمر إلى أن يُقتل من قبل الثائرين عليه من المسلمين، هذه

حادثة تاريخية - بمعنى أنها تدخل في اهتمامات المؤرخين ولها بُعد تاريخي أيضًا - لعبت دورًا سلبيًا أو إيجابيًا في تكييف الأحداث التاريخية الأخرى، ولكنها لا تتحكم فيها سنن التاريخ.

إن الذي يتحكم في ذلك قوانين بنية جسم عثمان بن عفان، قوانين الحياة، وقوانين جسم الإنسان التي أعطت لعثمان بن عفان عمرًا طبيعيًا ناهز الثمانين، مواقف عثمان بن عفان، تصرفاته الاجتماعية تدخل في نطاق سنن التاريخ، ولكن طول عمره مسألة أخرى، مسألة حياتية أو مسألة فلسفية أو فيزيائية وليست مسألة تتحكم فيها سنن التاريخ.

إذن سنن التاريخ لا تتحكم على كل الساحة التاريخية، ولا على كل القضايا التي يدرجها المفسرون في تاريخهم.

## المبحث الثالث عشر

### خصائص الظواهر التاريخية<sup>(١)</sup>

الساحة التاريخية ساحة اهتمامات المؤرخين لا تستوعبها سنن التاريخ؛ لأن هذه الساحة تشتمل على ظواهر كونية وطبيعية وفيزيائية وحياتية وفلسفية أيضاً، هذه الظواهر تحكمها قوانينها النوعية على الرغم من أن بعض هذه الظواهر ذات أهمية بالناظر التاريخي، من منظار المؤرخين تعتبر حوادث ذات أهمية، لها بُعد زمني في امتداد وتيار الحوادث التاريخية، ولكنها مع هذا لا تحكمها سنن التاريخ بل تحكمها سننها الخاصة، سنن التاريخ تحكم ميداناً معيناً من الساحة التاريخية، هذا الميدان يشتمل على ظواهر متميزة تميزاً نوعياً عن سائر الظواهر الكونية والطبيعية.

#### ١ . علاقة الظاهرة بالهدف:

المميز العام للظواهر التي تدخل في نطاق سنن التاريخ هو أن هذه الظواهر تحمل علاقة جديدة لم تكن موجودة في سائر الظواهر الأخرى الكونية والطبيعية والبشرية.

---

(١) المدرسة القرآنية: ٧٩-٨٧.

هذه الظواهر كلها تحمل علاقة ظاهرة بسبب، مسبب بسبب، نتيجة بمقدمات، هذه العلاقة موجودة في كل الظواهر الكونية والطبيعية، الغليان ظاهرة طبيعية مرتبطة بظروف معينة، بدرجة حرارة معينة، بدرجة معينة من قُرب هذا الماء من النار، هذا الارتباط ارتباط المسبب بالسبب، العلاقة هنا علاقة السببية، علاقة الحاضر بالماضي وبالظروف المسبقة المنجزة.

لكن هناك ظواهر على الساحة التاريخية تحمل علاقة من نمط آخر وهي علاقة ظاهرة بهدف، علاقة نشاط بغاية أو ما يسميه الفلاسفة بالعلة الغائية تمييزاً عن العلة الفاعلية هذه العلاقة علاقة جديدة متميزة، غليان الماء بالحرارة يحمل علاقة مع سببه، مع ماضيه، لكن لا يحمل علاقة مع غاية ومع هدف ما لم يتحول إلى فعل إنساني، إلى جهد بشري، بينما العمل الإنساني الهادف يحتوي علاقة مع السبب ولا فقط مع الماضي، بل مع الغاية التي هي غير موجودة حين إنجاز هذا العمل، وإنما يتربح وجودها.

أي العلاقة هنا علاقة مع المستقبل لا مع الماضي، الغاية دائماً تمثل المستقبل بالنسبة إلى العمل، بينما السبب يمثل الماضي بالنسبة إلى هذا العمل.

فالعلاقة التي يتميز بها العمل التاريخي، الذي تحكمه سنن التاريخ عمل هادف، عمل يرتبط بعلة غائية سواء كانت صالحة أم



طالحة. نظيفة أم لا، على أي حال هذا يعتبر عملاً هادفاً، وهو نشاط تاريخي يدخل في نطاق سنن التاريخ، وهذه الغايات التي ترتبط بها غايات مستقبلية بالنسبة إلى العمل، فهي تؤثر عن طريق وجودها الذهني في العامل لا محالة؛ لأنها بوجودها الخارجي الواقعي طموح وتطلع إلى المستقبل، ليست موجودة وجوداً حقيقياً، وإنما تؤثر عن طريق وجودها الذهني في الفاعل.

إذن فالمستقبل أو الهدف الذي يشكل الغاية للنشاط التاريخي يؤثر في تحريك هذا النشاط وفي بلورته عن طريق الوجود الذهني أي عن طريق الفكر الذي يتمثل فيه الوجود الذهني للغاية ضمن شروط ومواصفات.

## ٢. علاقة العمل بالمجتمع:

ليس كل عمل له غاية، فهو عمل تاريخي هو عمل تجري عليه سنن التاريخ، بل يوجد بُعد ثالث لا بد أن يتوفر لهذا العمل كي يكون عملاً تاريخياً، أي عملاً تحكمه سنن التاريخ، البعد الأول كان هو الفاعل (السبب)، والبعد الثاني كان هو الغاية (الهدف)، ولا بد من بُعد ثالث لكي يكون هذا العمل داخلياً في نطاق سنن التاريخ، هذا البعد الثالث أن يكون به لهذا العمل أرضية تتجاوز ذات العمل، أن تكون أرضية العمل عبارة عن المجتمع.

العمل الذي يخلق موجًا، هذا الموج يتعدى الفاعل نفسه، ويكوّن أرضيته الجماعة التي يكون الفرد جزءًا منها.

الأمواج على اختلاف درجاتها، هناك موج محدد، وموج كبير، لكن العمل لا يكون عملاً تاريخياً إلا إذا كان له موج يتعدى حدود العامل الفردي.

قد يأكل الفرد إذا جاع، قد يشرب إذا عطش، قد ينام إذا أحس بحاجة إلى النوم، لكن هذه الأعمال على الرغم من أنها أعمال هادفة أيضاً تريد أن تحقق غايات، ولكنها أعمال لا يمتد موجهها أكثر من العامل خلافاً لعمل يقوم به الإنسان عن طريق نشاط اجتماعي وعلاقات متبادلة مع أفراد جماعته.

التاجر حينما يعمل عملاً تجارياً، القائد حينما يعمل عملاً حربياً، السياسي حينما يمارس عملاً سياسياً، المفكر حينما يتبنى وجهة نظر في الكون والحياة، هذه الأعمال لها موج يتعدى شخص العامل، هذا الموج يتخذ من المجتمع أرضية له أيضاً، فيمكن أن نستعين بمصطلحات الفلاسفة فنقول:

المجتمع يشكّل علة مادية لهذا العمل، نتذكر من مصطلحات الفلاسفة التمييز الأرسطي بين العلة الفاعلية والعلة الغائية والعلة المادية.

هنا نستعين بهذه المصطلحات لتوضيح الفكرة: يعني المجتمع يشكل علة مادية لهذا العمل، أرضية لهذا العمل في حالة من هذا القبيل يعتبر هذا العمل عملاً تاريخياً، يعتبر عملاً للأمة، عملاً للمجتمع وإن كان الفاعل المباشر له في جملة من الأحيان لا يكون إلا فرداً واحداً أو يكون مجموعة أو عدداً من الأفراد ولكن باعتبار الموج يعتبر عمل المجتمع.

إذن العمل التاريخي الذي تحكمه سنن التاريخ هو العمل الذي يكون حاملاً لعلاقة مع هدف وغاية، ويكون في نفس الوقت ذا أرضية أوسع من حدود الفرد.

### الفرق بين عمل الفرد وعمل الجماعة:

في القرآن الكريم نجد تمييزاً بين عمل الفرد وعمل الجماعة، ونلاحظ في القرآن الكريم أنه عن طريق استعراضه للكتب الغيبية والإحصائية تحدّث القرآن الكريم عن كتاب للفرد، وتحدّث عن كتاب للأمة، عن كتاب يحصي على الفرد عمله، وعن كتاب يحصي على الأمة عملها، وهذا تمييز دقيق بين العمل الفردي الذي يُنسب إلى الفرد وبين عمل الأمة أي العمل الذي له ثلاثة أبعاد، والعمل الذي له بعدان، فالعمل الذي له بُعدان لا يدخل إلا في كتاب الفرد، والعمل الذي له ثلاثة أبعاد فهو يدخل في الكتابين معاً باعتبار البعدين

يدخل في كتاب الفرد ويحاسب الفرد عليه، وباعتبار البعد الثالث يدخل في كتاب الأمة ويُعرض عليها وتُحاسب على أساسه.

لاحظوا قوله سبحانه: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، هنا القرآن الكريم يتحدث عن كتاب للأمة، أمة جاثية بين يدي ربها ويقدم لها كتابها، يقدم لها سجل نشاطها، حياتها التي مارسها، هذا العمل الهادف ذو الأبعاد الثلاث يحتويه هذا الكتاب، وهو يقول: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ هذا الكتاب ليس كتاب تفسير ليس كتاب وظيفة يسجل الوقائع الطبيعية والفلسفية والفيزيائية، يستنسخ ما كانوا يعملون كأمة ما كانت الأمة تعمله كأمة، يعني العمل الهادف ذو الموج بحيث ينسب للأمة وتكون مدعوة إلى كتابها، هذا العمل هو الذي يحويه هذا الكتاب، بينما في آية أخرى نستمع إلى قوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٧﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>، هنا الموقف يختلف، كل إنسان مرهون بكتابه، لكل إنسان كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في أعماله من حسناته وسيئاته، من هفواته وسقطاته، من صعوده ونزوله،

(١) الجاثية: ٢٨، ٢٩

(٢) الإسراء: ١٣، ١٤

إلا وهو محصّي في ذلك الكتاب، الكتاب الذي كتب بعلم من لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض والسما. كل إنسان قد يفكر أن بإمكانه أن يخفي نقطة ضعف، أو يخفي ذنباً أو سيئة عن جيرانه عن قومه، عن أمته، عن أولاده، قد يحاول أن يخفي ذلك حتى عن نفسه، ويروي نفسه أنه لم يرتكب سيئة ولكن هذا الكتاب الحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، في ذلك اليوم يُقال: أنت حاسب نفسك؛ لأن هذه الأعمال التي مارسستها سوف تواجهها في هذا الكتاب، أن تحكم على نفسك بموازين ومقاييس الحق في يوم القيامة في ذلك اليوم لا يمكن لأي إنسان أن يخفي شيئاً عن الموقف، عن الله سبحانه وعن نفسه.

هذا كتاب الفرد ذاك كتاب الأمة، هناك كتاب لأمة جاثية بين يدي ربها، وهنا لكل فرد كتاب، هذا التمييز النوعي القرآني بين كتاب الأمة وكتاب الفرد هو تعبير آخر من أن العمل التاريخي هو ذاك العمل الذي يتمثل في كتاب الأمة، العمل الذي له أبعاد ثلاثة، بل الذي يستظهر ويلاحظ من عدد آخر للآيات القرآنية الكريمة أنه ليس فقط يوجد كتاب للفرد وكتاب للأمة، بل يوجد إحضار للفرد وإحضار للأمة، هناك إحضارات بين يدي الله سبحانه.

الإحضار الفردي يأتي فيه كل إنسان فرداً فرداً لا يملك ناصرًا ولا معيناً، لا يملك شيئاً يستعين به في ذلك الموقف إلا العمل

الصالح والقلب السليم والإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله، هذا هو الإحضار الفردي. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٣١﴾ لَقَدْ أَحْضَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٣٢﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾<sup>(١)</sup>، هذا الإحضار إحضار فردي بين يدي الله سبحانه.

وهناك إحضار آخر، إحضار للفرد في وسط الجماعة، إحضار للأمة بين يدي الله تعالى، كما يوجد هناك سجلان، كذلك يوجد إحضاران ترى كل أمة جاثية، كل أمة تُدعى إلى كتابها، ذاك إحضار للجماعة، والمستأنس به في سياق الآيات الكريمة. إن هذا الإحضار الثاني يكون من أجل إعادة العلاقات إلى نصابها الحق.

العلاقات داخل كل أمة قد تكون غير قائمة على أساس الحق قد يكون الإنسان المستضعف فيها جديدًا بأن يكون في أعلى الأمة، هذه الأمة تعاد فيها العلاقات إلى نصابها الحق، هذا هو اليوم الذي سمّاه القرآن الكريم بيوم التغابن، فيحصل هذا اليوم عن طريق اجتماع المجموعة ثم كل إنسان كان مغبونًا في موقعه في الأمة، في وجوده في الأمة بقدر ما كان مغبونًا في موقعه في الأمة يأخذ حقه يوم لا

كلمة إلا للحق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجُمُعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾<sup>(١)</sup>.

إذن هناك سجلان: سجل لعمل الفرد، وسجل لعمل الأمة،  
وعمل الأمة عبادة له ثلاث أبعاد:

١. بُعد من ناحية العمل، ما يسميه أرسطو بـ(العلة الفاعلية).
٢. بُعد من ناحية الهدف، ما يسميه أرسطو بـ(العلة الغائية).
٣. بُعد من ناحية الأرضية وامتداد الموج، ما يسمونه بـ(العلة المادية).





## المبحث الرابع عشر

### أشكال السنن التاريخية في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

هناك ثلاثة أشكال تتخذها السنّة التاريخية في القرآن الكريم لا بد من استعراضها ومقارنتها وبيانها، وهي:

#### ١. شكل القضية الشرطية:

في هذا الشكل تتمثل السنّة التاريخية في قضية شرطية تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية، وتؤكد العلاقة الموضوعية بين الشرط والجزاء، وأنه متى ما تحقق الشرط تحقق الجزاء، وهذه صياغة نجدها في كثير من القوانين والسنن الطبيعية والكونية في مختلف الساحات الأخرى.

فمثلاً: حينما نتحدث عن قانون طبيعي لغليان الماء، نتحدث بلغة القضية الشرطية، نقول بأن الماء إذا تعرّض للحرارة وبلغت درجة معينة، مائة مثلاً في مستوى معين من الضغط، حينئذ سوف يحدث الغليان، هذا قانون طبيعي بين الشرط والجزاء، ويؤكد أن حالة التعرض للحرارة ضمن مواصفات معينة تذكر في طرق الشرط.

---

(١) المدرسة القرآنية: ٨٨-١٠٠.

نستتبع حادثة طبيعية معينة وهي غليان هذا الماء، تحول من سائل إلى غاز، هذا القانون مصاغ على نهج القضية الشرطية ومن الواضح أن هذا القانون الطبيعي لا يثبتنا شيئاً عن تحقق الشرط وعدم تحققه، لا يثبتنا هذا القانون الطبيعي أن الماء هل يتعرض للحرارة أم لا؟ هل أن حرارة الماء ترتفع إلى الدرجة المطلوبة ضمن هذا القانون أم لا؟ هذا القانون لا يتعرض لمدى وجود الشرط وعدمه. ولا يثبتنا بشيء عن تحقق الشرط إيجاباً أو سلباً، وإنما يثبتنا عن الخبراء لا ينفك عن الشرط، متى ما وجد الشرط وجد الجزاء، فالغليان نتيجة مرتبطة موضوعياً بالشرط، هذا هو تمام ما يثبتنا عنه هذا القانون المصاغ بلغة القضية الشرطية.

مثل هذه القوانين تقدم خدمة كبيرة للإنسان؛ لأنه ضمن تصرفه على هذه القوانين يصبح بإمكانه أن يتصرف بالنسبة إلى الجزاء، ففي كل حالة يرى أنه بحاجة إلى الجزاء يعمل هذا القانون، يوفر شروط هذا القانون، ففي كل حالة يكون الجزاء متعارضاً مع مصالحه ومشاعره يحاول الحيلولة دون توفر شروط هذا القانون.

إذن القانون الموضوع بقضية الشرطية موجه عملي للإنسان في حياته. ومن هنا تتجلى حكمة الله سبحانه في صياغة نظام الكون على مستوى القوانين وعلى مستوى الروابط المطردة والسنن الثابتة؛ لأن صياغة المكون ضمن روابط مطردة وعلاقات ثابتة هو

الذي يجعل الإنسان يتصرف على موضع قدميه، وعلى الوسائل التي يجب أن يسلكها في سبيل تكييف بيئته وحياته والوصول إلى إشباع حاجته. لو أن الغليان في الماء كان يحدث صدفة ومن دون رابطة قانونية مطردة مع حادثة أخرى كالحرارة إذن لما استطاع الإنسان أن يتحكم في هذه الظاهرة، أن يخلق هذه الظاهرة متى ما كانت حياته بحاجة إليها، وأن يتفادها متى ما كانت حياته بحاجة إلى تفاديتها. إنما كان له هذه القدرة باعتبار أن هذه الظاهرة وضعت في موضع ثابت من سنن الكون وطرح على الإنسان القانون الطبيعي بلغة القضية الشرطية فأصبح ينظر في نور لا في ظلام، ويستطيع في ضوء هذا القانون الطبيعي أن يتصرف.

نفس الشيء نجد في الشكل الأول من السنن التاريخية القرآنية، فإن عددًا كبيرًا من السنن التاريخية في القرآن الكريم قد تمت صياغته على شكل القضية الشرطية التي تربط بين حادثتين اجتماعيتين أو تاريخيتين، فهي لا تتحدث عن الحادثة الأولى أنها متى توجد ومتى لا توجد، لكن تتحدث عن الحادثة الثانية، بأنه متى ما وجدت الحادثة الأولى وجدت الحادثة الثانية، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ هذه السُّنَّة التاريخية للقرآن الكريم بُنيت بلغة القضية الشرطية؛ لأن مرجع هذا المفاد القرآني أن هناك علاقة بين تغييرين:

بين تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، وتغيير الوضع الظاهري للبشرية والإنسانية، مفاد هذه العلاقة قضية شرطية: أنه متى ما وجد ذلك التغيير في أنفس القوم وجد هذا التغيير في بناء القوم وكيانهم، هذه القضية الشرطية يكون القانون فيها واضحاً حسب (قضية شرطية).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(١)</sup>، هذه الآية المباركة تتحدث عن سُنَّة من سنن التاريخ، عن سُنَّة تربط وفرة الإنتاج بعدالة التوزيع، هذه السُنَّة أيضاً هي بلغة القضية الشرطية كما الواضح من صياغتها النحوية.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، أيضاً سُنَّة تاريخية بينت بلغة القضية الشرطية ربطت بين أمرين: بين تأمير المُتْرِفِيقِ والمُتْرِفِيقِينِ فَلَاقِيِ المِجْتَمَعِ وبين دمار ذلك المِجْتَمَعِ وانحلاله. هذا القانون التاريخي أيضاً مُبَيِّنٌ على نهج القضية الشرطية، فهو لا يبين أنه متى يوجد الشرط لكن يبين متى ما وجد هذا الشرط يوجد الجزاء.

(١) الجن: ١٦

(٢) الإسراء: ١٦

## ٢. شكل القضية الفعلية:

هذا الشكل أيضاً نجد له أمثلة وشواهد في القوانين الطبيعية والكونية، مثلاً: العالم الفلكي حينما يصدر حكماً علمياً على ضوء قوانين مسارات الفلك بأن الشمس سوف تنكسف في اليوم الفلاني أو القمر سوف ينخسف في اليوم الفلاني، هذا قانون علمي وقضية علمية، إلا أنها قضية وجودية ناجزة، ليس قضية شرطية لا يملك الإنسان اتجاه هذه القضية أن يغيّر في ظروفها، أن يعدّل من شروطها؛ لأنها لم تُبَيّن كلفة قضية شرطية وإنما بيّنت على مستوى القضية الفعلية الوجودية. الشمس سوف تنكسف، القمر سوف ينخسف، هذه القضية الفعلية تنظر إلى الزمان الآتي وتخبر عن وقوع هذه الحادثة على أية حال.

كذلك الأنواء الجوية، القرارات العلمية التي تصدر عن الأنواء الجوية. المطر ينهمر على المنطقة الفلانية، هذا أيضاً يعبر عن قضية فعلية وجودية لم تُصغ بلغة القضية الشرطية، وإنما صيغت بلغة التنجيز والتحقيق بلحاظ مكان معين وزمان معين.

فهذا الشكل من السنن التاريخية هو الذي أوحى في الفكر الأوربي بتوهم التعارض بين فكرة سنن التاريخ وفكرة اختيار الإنسان وإرادته.

نشأ هذا التوهم الخاطيء الذي يقول بأن فكرة سنن التاريخ لا يمكن أن تجتمع إلى جانب فكرة اختيار الإنسان؛ لأن سنن التاريخ هي التي تنظّم مسار الإنسان وحياته، إذن ماذا يبقى لإرادة الإنسان؟ هذا التوهم أدى إلى أن بعض المفكرين يذهب إلى أن الإنسان له دور سلبي فقط حفاظاً على سنن التاريخ وعلى موضوعية هذه السنن، ضحّى باختبار الإنسان من أجل الحفاظ على سنن التاريخ فقال بأن الإنسان دوره دور سلبي وليس دوراً إيجابياً يتحرك كما تتحرك الآلة وفقاً لظروفها الموضوعية.

وذهب بعض آخر في مقام التوفيق بين هاتين الفكرتين ولو ظاهرياً إلى أن اختيار الإنسان نفسه هو أيضاً يخضع لسنن التاريخ ولقوانينه لا نضحي باختبار الإنسان، لكن نقول بأن اختيار الإنسان لنفسه حادثة تاريخية أيضاً، إذن هو بدوره يخضع للسنن، هذه تضحية باختبار الإنسان لكن بصورة مبطنة بصورة غير مكشوفة.

وذهب بعض آخر إلى التضحية بسنن التاريخ لحساب اختيار الإنسان فذهب جملة من المفكرين الأوروبيين إلى أنه ما دام الإنسان مختاراً فلا بد من أن تستثنى الساحة التاريخية من الساحات الكونية في مقام التقنين الموضوعي، لا بد وأن يقال بأنه لا سنن موضوعية للساحة التاريخية حفاظاً على إرادة الإنسان واختياره.

وهذه المواقف كلها خاطئة؛ لأنها جميعاً تقوم على ذلك التوهم الخاطيء، وهو الاعتقاد بوجود تناقض أساسي بين مقولة السُّنَّة التاريخية ومقولة الاختيار، وهذا التوهم نشأ من قِصر النظر على الشكل الثاني من أشكال السُّنَّة التاريخية، أي قِصر النظر على الساحة التاريخية المصاغة بلغة القضية الفعلية الوجودية الناجزة. لو كنا نقول بأن هذا الشكل هو الذي يستوعب كل الساحة التاريخية لا يبقى فراغاً لذي فراغ ولكن هذا التوهم واردًا، ولكننا يمكننا إبطال هذا التوهم عن طريق الالتفات إلى الشكل الأول من أشكال السُّنَّة التاريخية الذي تصاغ فيه السُّنَّة التاريخية بوصفها قضية شرطية.

وكثيراً ما تكون هذه القضية الشرطية في شرطها معبرة عن إرادة الإنسان واختياره، يعني أن اختيار الإنسان يمثل محور القضية الشرطية، لذا فهذه القضية تتكلم عن علاقة بين الشرط والجزاء. لكن الشرط هو فعل الإنسان وإرادته قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، التغيير هنا أسند إليهم فهو فعلهم، إبداعهم وإرادتهم.

إذن السُّنَّة التاريخية حينما تُصاغ بلغة القضية الشرطية، وحينما يحتل إبداع الإنسان واختياره موضوع الشرط في هذه القضية في مثل هذه الحالة تصبح هذه السُّنَّة متلائمة تماماً مع اختيار الإنسان،

بل إن السنة حينئذٍ تغطي اختيار الإنسان، تزيده اختياراً وقدرة وتمكناً من التصرف في موقفه، كيف أن ذلك القانون الطبيعي للغليان كان يزيد من قدرة الإنسان؛ لأنه يستطيع حينئذٍ أن يتحكم في الغليان بعد أن عرف شروطه وظروفه، كذلك السنن التاريخية ذات الصيغ الشرطية هي في الحقيقة ليست على حساب إرادة الإنسان وليس نقيضاً لاختياره بل هي مؤكدة لاختياره، وتوضح نتائج الاختيار لكي يستطيع أن يقتبس ما يريد من هذه النتائج، لكي يستطيع أن يتعرف على الطريق الذي يسلك به إلى هذه النتيجة أو تلك، فيسير على ضوء وكتاب منير.

### ٣. السُّنَّة المصاغة على صورة الاتجاه الطبيعي:

وهو شكل اهتم به القرآن الكريم اهتماماً كبيراً هو السُّنَّة التاريخية المصاغة على صورة اتجاه طبيعي في حركة التاريخ لا على صورة قانون صارم جسده، وفرَّق بين الاتجاه والقانون.

القانون العلمي عبارة عن تلك السُّنَّة التي لا تقبل التحدي من قبل الإنسان؛ لأنها قانون من قوانين الكون والطبيعة فلا يمكن للإنسان أن يتحداها، أن ينقضها أو يخرج عن طاعتها، يمكنه أن لا يصلي؛ لأن وجوب الصلاة حكم شرعي وليس قانوناً تكوينياً، يمكنه أن يشرب الخمر؛ لأن حرمة شرب الخمر قانون تشريعي وليس قانوناً تكوينياً، لكنه لا يمكنه أن يتحدى القوانين الكونية والسنن



الموضوعية، مثلاً: لا يمكنه أن يجعل الماء لا يغلي إذا توفرت شروط الغليان، لا يمكنه أن يتحدى الغليان، أن يؤخر الغليان لحظة عن موعده المعين؛ لأن هذا قانون، والقانون صارم والصرامة تأبى التحدي.

هذه هي الفكرة التي نتصورها عادة عن القوانين، وهي فكرة صحيحة إلى حد ما، لكن ليس من الضروري أن تكون كل سُنَّة طبيعية موضوعية على هذا الشكل بحيث تأبى التحدي ولا يمكن تحديها من قبل الإنسان بهذه الطريقة بل هناك اتجاهات موضوعية في حركة التاريخ وفي مسار الإنسان؛ إلا أن هذه الاتجاهات لها شيء من المرونة بحيث أنها تقبل التحدي ولو على شوط قصير، وإن لم تقبل التحدي على شوط طويل، لكن على الشوط القصير تقبل التحدي. أنت لا تستطيع أن تؤخر موعد غليان الماء لحظة، لكن تستطيع أن تجمد هذه الاتجاهات لحظات من عمر التاريخ، لكن هذا لا يعني أنها ليست اتجاهات تمثل واقعاً موضوعياً في حركة التاريخ، هي اتجاهات ولكنها مرنة تقبل التحدي لكنها تحطم التحدي.



## المبحث الخامس عشر

### الفارق بين التفسير الموضوعي وغيره من التفاسير وأهم

#### قواعده

كل تفاسير القرآن الكريم تلتقي في هدف واحد، هو خدمة كتاب الله تعالى ولهذا كثرت التفاسير، وظهر في العصر الحديث منهج جديد في التفسير (التفسير الموضوعي) أعجب العلماء والباحثين وصدرت منه دراسات عدة وأقرته بعض الجامعات ضمن مواد الدراسة، ولأجله انعقدت مؤتمرات.

الفارق الأول: التفسير الإجمالي يقوم على إجمال المعنى والإيجاز والاختصار، حيث يقوم المفسر بتفسير القرآن الكريم كله دون توسع أو تفصيل أو تطويل في التحليل، وبدون زيادة في المباحث التفصيلية في اللغة أو العقيدة، أو الفقه، مثالها: فجاز القرآن لأبي عبيدة وتفسير الجلالين للسيوطي<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٢.

الفارق الثاني: في التفسير التحليلي يقف المفسر أمام كل آية حسب ترتيب المصحف العثماني، ويقوم بتحليلها تحليلاً موسعاً مفصلاً ويقف أثناء التحليل عند مختلف الموضوعات والمسائل في العقيدة والفقه والنحو والبلاغة والقراءات والأحكام والأخلاق والأدلة والبراهين، فهي ثقافة موسوعية متنوعة شاملة ومن هذه التفاسير ما هو متوسط الحجم كتفسير الزمخشري والبيضاوي، ومنها ما هو المفصل المطول كتفسير ابن كثير وابن عطية والقاسمي وغيرها، ومنها الموسوعة المطولة كبيرة الحجم كتفسير الطبري، والرازي، والألوسي، وابن عاشور<sup>(١)</sup>.

أما التفاسير المقارنة وهي التي يقوم فيها الباحث بإجراء مقارنات بين عدة تفاسير على اختلاف مناهجها، حيث يجمع بين هذه التفاسير جميعها لسورة واحدة، أو مجموعة آيات في موضوع من الموضوعات ثم يسجل النتيجة التي خرج بها، ويحدد موقعه بين المفسرين الآخرين وهذه المقارنة لا تشمل تفسير القرآن الكريم كله إنما تكون خاصة بسورة قصيرة أو موضوع معين<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٢، ٣٦٣.

إذن فالمفسر في التفسير الموضوعي ينطلق من الواقع الذي يعيش فيه، ويتحسس هذا الواقع من كل الجوانب، ويبحث عن حاجات هذا المجتمع مهما كان نوعها: فكرية، علمية، سلوكية، حضارية، سياسية، اقتصادية وغير ذلك. ويقوم بتشخيص الداء ثم يجلس أمام القرآن الكريم يطلب منه الدواء الناجح، ويأخذ الحلول اليقينية القاطعة، وبعدها يرتب هذه الحلول والإجابات القرآنية ويقدمها للمجتمع ليصلحوا واقعهم على أساسه، فالمفسر الموضوعي دائم الربط بين القرآن الكريم والمجتمع، بينما المفسر في التفاسير الأخرى كل عمله أنه يفسر الآيات القرآنية ويحللها ويشرحها دون الالتفات إلى واقع المجتمع بشكل مباشر<sup>(١)</sup>.

الفارق الثالث: المفسر في التفسير الموضوعي يقدم للمسلمين إلى جانب الفكر والثقافة الحلول القرآنية للمشكلات الواقعية، بينما التفاسير الأخرى تقدم للمسلمين تفسيراً نظرياً وثقافة تفسيرية، ومعلومات عامة متنوعة في مجالات المعرفة<sup>(٢)</sup>.

الفارق الرابع: المفسر الموضوعي يجمع الدلالات التفصيلية المتفرقة عن موضوع ما ثم ينسق بينها، ويجمع بين أجزائها ويستخرج من مجموعها نظرية قرآنية واقعية متكاملة، بينما

(١) ينظر: علوم القرآن ومناهج المفسرين: ٣٦٣.

(٢) ينظر: المدرسة القرآنية: ١٨.

المفسر في بقية التفاسير يكتفي بتحليل الآيات وتراكيبها وباستخراج دلالاتها الجزئية<sup>(١)</sup>.

لذا ومن هنا يفترق التفسير الموضوعي عن التفاسير السابقة التي تعتمد على تفسير القرآن الكريم كاملاً آية آية، وسورة سورة، وفق ترتيب المصحف الشريف، إلا أن التفسير الموضوعي يهتم بمتابعة الموضوع الخاص ويدرسه وفق إطار القرآن الكريم.

### قواعد التفسير الموضوعي:

القاعدة الأولى: الالتزام التام بعناصر القرآن الكريم:

قال فتح الله سعيد: يجب على المفسر الالتزام التام بالعناصر التي استخرجها من النظر في الآيات الكريمة، ولا يصح أن يضيف عنصراً إلى الموضوع من أي مصدر غير القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

القاعدة الثانية: رعاية الأسلوب الصحيح:

أشار إلى هذا الأمر شيخنا الأستاذ: مكارم الشيرازي، فقال للتفسير الموضوعي أسلوبان:

أحدهما: أن يتناول المفسر المواضيع المختلفة، كالموضوعات العقائدية والأخلاقية وغيرها، وبعد ذلك بحوث

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ١٩.

(٢) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٦٧.

فلسفية وكلامية أو أخلاقية يذكر بعض الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع بعنوان الشاهد: أي يحمل آيات القرآن الكريم على رأيه<sup>(١)</sup>.

ثانيهما: أن يقوم المفسر قبل كل شيء بجمع الآيات الواردة في الموضوع من جميع أنحاء القرآن الكريم، وقبل أي حكم أو إبداء نظري يتم جمع الآيات وتفسيرها جنبًا إلى جنب ويجمعها وملاحظة ترابطها يحصل منها على الصورة الكاملة في هذا الأسلوب لا يملك المفسر شيئاً من عنده مطلقاً. ويسير كالظل خلف آيات القرآن الكريم فيفهم كل شيء من القرآن الكريم، ويكون همّه كشف محتوى الآيات وإذا استعان بكلمات الآخرين بل حتى بالأحاديث، فهو في المرحلة الثانية وبنحو منفصل<sup>(٢)</sup>.

### القاعدة الثالثة: عدم الاكتفاء بجمع الآيات المشتملة على اللفظ:

يجب على المفسر الموضوعي أن لا يكتفي بجمع الآيات المتضمنة للألفاظ الحاكية للموضوع؛ لأنه لا يتم التفسير بها؛ إذ يوجد كثير من الآيات المتعلقة بالموضوع وهي فاقدة لتلك الكلمة، ومثاله الأعلى هو: وضوح المعاد الذي لا توجد كلمة واحدة من هذه

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١ : ١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ : ١٨.

المادة في الموضوع مع أن الآيات المرتبطة بالمعاد تبلغ خمس مائة آية من القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

قال بعض المفسرين: نحن نعلم أن الله سبحانه (رحمن) و(رحيم) و(أرحم الراحمين) وهذا المعنى منعكس في كثير من آيات القرآن الكريم. ولكن توجد آيات تبين هذه الحقيقة بدون استعمال مادة (رقم) كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

القاعدة الرابعة: العناية بالتفسير التجزيئي والموضوعي:

يجب على المفسر في هذا النوع من التفسير الالتفات إلى التفسير الموضوعي والتجزيئي قبل الإقدام على التفسير الموضوعي، أي: أن التفسير التجزيئي هو بمنزلة إحدى المقدمات اللازمة للتفسير الموضوعي، قال السيد الصدر بعد أفضلية التفسير الموضوعي: فالمسألة هنا ليست مسألة استبدال وإنما هي ضم الاتجاه الموضوعي في التفسير إلى الاتجاه التجزيئي، يعني افتراض خطوتين خطوة هي التفسير التجزيئي. وخطوة أخرى هي التفسير الموضوعي<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١ : ١٩٠.

(٢) النحل: ٦١

(٣) ينظر: نفحات القرآن: ١ : ٢٠٠.

(٤) ينظر: المدرسة القرآنية: ٤٢.



### القاعدة الخامسة: العناية بدلالات الكلمات والعبارات:

لابد في التفسير الموضوعي من الرجوع إلى دلالات الكلمات التي تعبر عن هذا الموضوع من لوازم هذه اللفظة أو العبارة، أو نتيجة من نتائج استعمال هذه العبارة وكثيراً ما تستعمل الجملة أو الآية الواحدة في موضعين مختلفين، ويكون لها دلالة مختلفة بحسب الموضوع وحسب السياق ... عن دلالة الموضوع الآخر، فلكي يدرك الباحث هذا اللون من التفسير لابد أن يكون مدرّكاً تاماً لأقوال المفسرين الذين كتبوا في تحليل هذه الآيات<sup>(١)</sup>.

### القاعدة السادسة: العناية بالتفسير التحليلي:

إن المراد بالتفسير التحليلي فهم الآيات قبل الشروع في التفسير الموضوعي وهذا أمر ضروري للمفسر حتى يمكن له الاستناد والاستشهاد بها، وقادر على ترتيب مباحثها وتأليف عناصرها<sup>(٢)</sup>.

### القاعدة السابعة: اللجوء إلى تفسير السورة

تعرّض لهذه القاعدة مصطفى مساهم، قال: لابد للباحث في التفسير الموضوعي اللجوء إلى التفسير الإجمالي في طريقة عرض

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ٥٣.

(٢) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٦٤.

الهدف اذى اراده وحدده، وذلك لضرورة ربط المقاطع كلها بمحور  
السورة لإبراز الهدف الأساس فيها<sup>(١)</sup>.

### القاعدة الثامنة: رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن

نظراً إلى أن التفسير الموضوعي يكون أولاً وبالذات في تفسير  
القرآن بالقرآن، فيجب على المفسر مراعاة ما يلزم في هذا النوع من  
التفسير من التدبير في الآية نفسها، وإمكان الاستشهاد بالآيات  
المقطوعة عن السياق والمناسبة، وقبول تقارب المعنى في الكلمات  
وترادفها على حد ما لضرورة الاستمداد منه في تفسير الآية  
بنظيرتها<sup>(٢)</sup>.

### القاعدة التاسعة: التقيّد التام بصحيح المأثور في التفسير

إن مقصود المفسر الموضوعي إن كان هو إرادة وجهة نظر  
القرآن الكريم فقط، فلا إشكال في الاقتصار على بيان الآيات  
وشرحها، كما أشار إليه الشيخ: مكارم الشيرازي، قال: (يسير  
المفسر) كالظلم خلف آيات القرآن الكريم، فيفهم كل شيء من  
الكتاب المبارك، ويكون همّه كشف محتوى الآيات وإذا استعان

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ٥٤.

(٢) ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ٤٢٢.

بكلمات الآخرين بل حتى بالأحاديث فهو في المرحلة الثانية وبنحو منفصل<sup>(١)</sup>.

وإن كان مقصوده بيان ما أراد الله تعالى من كلامه في الحقيقة وفي نفس الأمر مستدلاً بأن الاختصار التام على الآيات يوجب عدم اكتمال التفسير وعدم الوصول إلى تمام مراد الله تعالى، فلا يجوز الاختصار على القرآن الكريم، بل لا بد من الاستمرار من غير الآيات من السُّنة والأخبار، إذ المفسّر والمفسّر من الكلام ككلمة واحدة<sup>(٢)</sup>.

قال بعض محققي الشيعة: "إن من ألزم طرق التفسير هو تفسير القرآن الكريم بسُّنة المعصومين؛ لأنها أحد منابع علم التفسير وأصول التحقيق للوصول إلى المعارف القرآنية، ثم قال باحث من أهل السُّنة: فالمفسر يأتي بالحديث النبوي شارحاً ومبيّناً للنص القرآني، وكذا كلام الصحابة والعلماء في التفسير الموضوعي"<sup>(٣)</sup>.

#### القاعدة العاشرة: تجنّب الحشو والاستطراد في التعليق

لا ريب أن المقصد الأعلى في التفسير الموضوعي هو إبراز موقف القرآن الكريم ذاته من موضوعه، فإذا استطراد المفسر وتوسع

(١) ينظر: نفحات القرآن: ١ : ١٨ .

(٢) ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسُّنة: ٤٢٤ .

(٣) المدخل في التفسير الموضوعي: ٦٨ ، ٦٩ .

في التعليقات حظي ذلك على العناصر القرآنية، وخرج عن نطاق التفسير الموضوعي<sup>(١)</sup>.

### القاعدة الحادية عشرة: التدقيق التام

في التفسير الموضوعي يقوم المفسر بجمع الآيات من غير إحصاء واستقصاء ثم أصدر حكمًا فيؤدي إلى غلط، أو تخليط يحرف الكلم من مواضعه<sup>(٢)</sup>، وقد يغفل عن بعض جوانب الموضوع، وجب عليه التأكد والاطمئنان والوقوف على كل جوانب الموضوع، والاستيعاب الكامل بكل الألفاظ القرآنية الواردة في الموضوع، كي يحق له أن يسند الرأي إلى القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

### القاعدة الثانية عشر: مراعاة خصائص القرآن الكريم

هذه الخصائص على ما قاله الدكتور: سعيد في كتابه المدخل في التفسير الموضوعي هي:<sup>(٤)</sup>

٤. القرآن الكريم أصل الأصول جميعًا: أي هو الحاكم على غيره، المهيمن على ما سبقه، وهو الحكم عند التنازع في القواعد والفروع.

(١) ينظر: المدخل في التفسير الموضوعي: ٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧٤.

(٣) ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ٤٢٥.

(٤) المدخل في التفسير الموضوعي: ٧٤.

٥. القرآن الكريم غاية في الإحكام والإتقان؛ لأنه معيار الأشياء وميزاتها، فلا بد أن يكون مركباً على أتم الوجوه وأوفاهها في لفظه ونظمه ومعناه.

٦. القرآن الكريم كتاب الهداية، كما نطق به نفسه بقوله: ﴿هدى للمتقين﴾ و﴿هدى للناس﴾، وقد جاء القرآن الكريم كي يُخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلا يجوز أن يجعل من نظريات العلوم والمذاهب الفكرية تفسيراً للقرآن الكريم؛ لأنه الحاكم عليها، ولأن ثباتها إضافي وثبات القرآن الكريم مطلق نهائي.

٧. القرآن الكريم عربي اللسان لا الصفات: إن القرآن الكريم وإن كانت لغته العربية، وجرى عليها من المفردات وتراكيبها واتخذها أداة ووعاءً لمراميه، ولذلك اشترط في المفسر معرفتها فإنها لغة بشرية تخضع لما فيهم من فضائل ورتائل، والقرآن الكريم مجرد عن كل مثالبها، وخصائصها في أدواتها وأغراضها على سواء.

نتيجة الاهتمام بهذه الخصائص في التفسير الموضوعي هي<sup>(١)</sup>:

٨. العناية التامة بالأصول في أصلها (القرآن الكريم).

٩. التوجه إلى أن ما في القرآن الكريم من الحروف والكلمات قد وضعت في مكانها، ولا زائدة فيها.

(١) ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ٤٢٥، ٤٢٦.

- ١٠ . الاعتناء بوجهة القرآن الكريم الأصلية، وهي الهداية، فليس القرآن الكريم كتاب علوم وفنون، وورد هذه العلوم في القرآن الكريم إنما هو ضمن الدعوة إلى الإيمان بالله سبحانه والمعاد إليه، فعند المنازعة يجب الدفاع عن رسالة القرآن الكريم أو الركون إلى التوجيه الصحيح.
- ١١ . الالتفات إلى أن الأصل في القرآن الكريم العمل على الحقيقة إلا بدليل. وعدم التكرير إلا لنكتة وعدم الترادف إلا لسر.

## الخاتمة

### توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. أهم العناصر المشتركة في تعريفات التفسير الموضوعي جعل هذا النمط من التفسير عملاً مستقلاً بوصف الباحث في علوم القرآن الكريم بعد البحث المستقل علماً واحداً كما في المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ وغيرها.

٢. عبر العلماء ومنهم الشيخ: جعفر السبحاني، عن أهمية التفسير الموضوعي بأنه (الثروة التفسيرية الكبرى).

٣. من أهم فوائد التفسير الموضوعي إزالة الإشكالات وحل المتشابه في القرآن الكريم والحصول على تفسير جامع لمواضيع القرآن الكريم المختلفة وكذا إلحاق الآيات بعضها مع بعض لغرض الحصول على أسرار وإيماءات جديدة للكتاب المبارك.

٤. المفسر في التفسير الموضوعي يبدأ عمله من واقع الحياة فيركز نظره على موضوع من موضوعاتها ثم يطرحه بين يدي القرآن الكريم ويبدأ حواراً المفسر يسأل والكتاب المبارك يجيب لذا أطلق عليه العلماء بـ(الموضوعي).

٥. اشتهر بين العلماء وجود منهجين في التفسير الأول المنهج التجزيئي والثاني الموضوعي، وأياً كان الأشهر بينهما والأسبق

- منهما إلا أن العلماء يلوحون إلى وجود منهج ثالث، وأكدت دراساتهم أن يكون وسطاً بين السابقين وأشبه بالجامع بينهما.
٦. تعددت أنواع تفاسير القرآن الكريم بحسب نوع منهجيته فهناك تفسير يهتم باللفظ والأدب والبلاغة. وآخر يركز على أحاديث الرسول ﷺ والمأثور عن الصحابة والتابعين، وهناك تفسير متحيز وآخر غير متحيز. الأول يعتمد على مذاهب مسبقة والآخر يحاول أن يستنطق القرآن الكريم ويطبق الرأي عليه.
٧. نتائج التفسير الموضوعي مرتبطة دائماً وبشكل مباشر بتيار التجربة البشرية بوصفها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية لموضوع حياتي معين.
٨. ورود آيات عدة في القرآن الكريم تحتاج للجمع فيما بينها لاستخراج الرؤية والبصيرة، فكانت تأتي آيات تحيل على آيات أخرى ومن ثم كي نفهمها نحتاج للرجوع للآيات الأخرى:
٩. قيام الرسول الكريم وأهل البيت عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام بجهود عظيمة في الجمع الموضوعي بين الآيات لاستخراج موضوعات قرآنية عدة.
١٠. إن منهج القرآن الكريم والسنة توزع المادة حسب الغرض التربوي لا حسب الغرض المعرفي الذي يستدعي جمع شتات الموضوع في مكان واحد ودفعة واحدة.



## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولاً: الكتب:



- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ط، ١٩٨٦م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط، ٢٠٠٤م.
- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم، الشيخ: جعفر السبحاني، دار مشعر، ط، ١٣٩٧هـ.
- أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة أ.د: أحمد عبد الكريم الشوكة، د. ط، د.ت.



- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة: الشيخ محمد باقي المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م.

- البداية في التفسير الموضوعي، د. عبد الحى الفرماوي، ط ١، ١٩٧٦ م.
- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث للنشر، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٦ م.
- البيان القرآني، محمد رجب اليمومي، سلسلة البحوث الإسلامية، دار النصر للطباعة، القاهرة، د.ط، ١٩٧١ م.

## ﴿ت﴾

- تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، إيران، ط، ١٤٢٠ هـ.
- تفسير الفخر الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر، ط ١، ١٩٨١ م.
- التمهيد في علوم القرآن، العلامة: محمد هادي معرفة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، ٢٠١١ م.
- تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشر الأولى، محمد شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط ١٢، ٢٠٠٤ م.
- التفسير الموضوعي: التأصيل والتأويل، د. زيد عمر العيص، دار مودة، القاهرة، ط ٢، ٢٠١١ م.
- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، ط، ١٤١٨ هـ.

- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حكمت عبيد الخفاجي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٣ م.
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية، مكة المكرمة، د. ط، د. ت.
- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، قم، ط ٢، ١٤٢٦ هـ.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٠ م.
- التفسير: نشأته، تدرجه، تطوره، أمين الخولي، تحقيق: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، كتب دائرة المعارف الإسلامية، ط ١، د. ت.

### ﴿خ﴾

- خزانة الكتب (كتب اللغة العربية)، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف: علوي بن عبد القادر، الدرر السنية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٠ م.

### ﴿د﴾

- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، د. ت، د. ط.

### ﴿ذ﴾

- الذريعة في تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م.

## ﴿س﴾

- السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، أصول وضوابط، د. مجدي محمد عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٣، ٢٠١٣ م.
- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
- السنن الإلهية في السيرة النبوية، د. رشيد كهوس، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، ٢٠١٧ م.

## ﴿ع﴾

- علم المناسبات في السور والآيات، محمد بن عمر بن سالم، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- علوم القرآن، السيد: محمد باقر الحكيم، مكتبة سلمان المحمدي، بغداد، د. ط، ٢٠١٣ م.
- علوم القرآن ومناهج المفسرين، د. محمد قاسم الشوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٤ م.

## ﴿ف﴾

- الفكر الخالد في بيان العقائد، الشيخ: جعفر السبحاني، دار المحجة البيضاء، د. ط، د. ت.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ١، ٢٠١٣ م.

﴿ق﴾

- قواعد التفسير لدى الشيعة والسُّنَّة، محمد فاكر المييدي، المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، ط ١، ٢٠٠٧م.

﴿ك﴾

- الكافي للشيخ: الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مصادر الحديث الشيعية، قسم الفقه، ط ٥، ١٣٦٣ش.
- كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد بن عبد الله سيسوري، المكتبة المرتضوية، طهران، د. ط، ١٩٦٤م.

﴿م﴾

- مباحث التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار العلم، ط ٤، ٢٠٠٥م.
- مباحث في التفسير الموضوعي (مجالات التفسير الموضوعي)، إبراهيم بن صالح الحميضي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، د. ط، ٢٠١٦م.
- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، ط ١، ٢٠٠٠م.
- المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩١م.

- المدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، د. ط، ٢٠١٠م.
- المدرسة القرآنية، السيد: محمد باقر الصدر، مكتبة سلمان المحمدي، بغداد، العراق، ط ١، ٢٠١٣م.
- مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد، دار المعارف، الرياض، د. ط، ٢٠٠١م.
- معجم المصطلحات العربية، د. فايز، الراية، دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٩٩٠م.
- المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، د. ت، د. ط.
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى العنتري، مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا، ط، ٢٠٠١م.
- مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، أ. د. أحمد بن عثمان رحمان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، د. ت، د. ط.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٣م.
- منهجية البحث في التفسير الموضوعي، د. زياد الدغامين، دار البشير، ط ١، ١٩٩٥م.
- موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربي، حلب، ط ١، ٢٠٠٢م.

﴿ن﴾

- نفتحات القرآن، أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (العلم والمعرفة)، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط ١، ١٤٢٦ هـ.

﴿و﴾

- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، ط ١، ١٩٧٠ م.
- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، ط ١، ١٩٧٠ م.
- الوحدة الموضوعية للصور القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية (سورة الكهف، السور المكية: المدنية، أنموذجاً)، د. رياض عميراي، جامعة الأمير: عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، د. ط، د. ت.

ثانياً: الشبكة المعلوماتية (الانترنت):

- أدب الأنبياء والرسل مع الله، د. فاطمة سعد النعيمي، كلية الشريعة، جامعة قطر، مقال نشر على الموقع:

[Falmasalmaini@qu.edu.qe](mailto:Falmasalmaini@qu.edu.qe).

- تفسير القرآن الكريم والأساليب والاتجاهات، محمد عباد رهيبي، مقال نُشرَ على الانترنت بتاريخ ٢٢:١٢:٢٠١٧ م على الموقع: [www.dahaini.com](http://www.dahaini.com).

- التفسير والتأويل في القرآن د. صلاح الخالدي، المكتبة الشاملة الحديثة.
- قدماء الشيعة وعلم التفسير، جعفر السبحاني، موقع العقائد الإسلامية يمتاح على:  
<https://research.rafed.net/who-is-shia/>
- مجموعة مقالات على الانترنت، د. عبد الحميد غانم، ٢٠٠٥م على الموقع:  
[www.islam.org:G](http://www.islam.org:G)
- المقالة التفسيرية، عبد الكريم إبراهيم عزيز، جامعة المدينة العالمية، القصيم، بحث منشور على شبكة الانترنت، ملتقى أهل التفسير.
- مقدمة في التفسير الموضوعي، محمد عبد العزيز الخضير، بحث نُشِرَ على شبكة الانترنت، أرشيف منتدى الألوكة: ٢٠٠٨م.
- نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المؤلفين، المكتبة الشاملة.